1157
١١٥٧

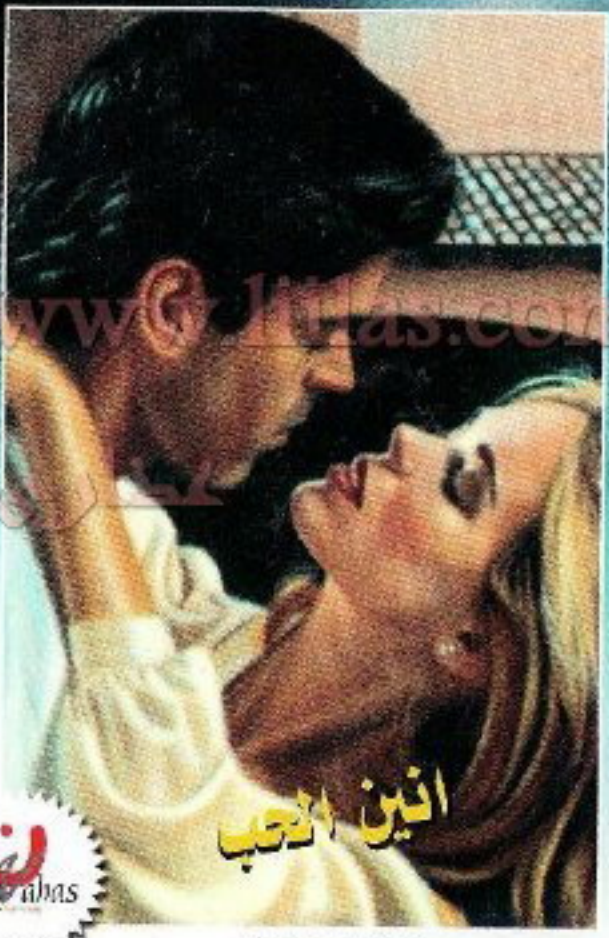

أنين الحب

www.nihas.com

صادر عن دار م. النحاس

انين الحب

هواية ساغي هي التوفيق بين من يريدون الزواج.

لكن آليس مترددة ولا تستطيع أن تقرر من هو الرجل المناسب لها. اعتقدت انها تحب بول وكانت على وشك القبول بالزواج منه عندما تعرفت الى شقيقه رالف الذي ملأ حياتها رأساً على عقب. فهو عنيد وقاسي القلب، لا يحب احداً ولا يثق بالمرأة.

لكن الحب يبدد كل هذه المشاعر والمخاوف ولا احد يستطيع الهرب منه.

www.liilas.com
مكتبة

11 10 ASST BOOKS
000002 680284
Dhs 10.00

في البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم
دراهم - الاردن: ٠,٨ دينار - المغرب: ٨ درهم
عمان ٢ ريال - تونس ٢ دينار

انين الحب

كانت جيني جالسة على أحد الأسرة وقالت وهي تحملق فيها: «يا لك من محظوظة.»

«انني لا أدري. وطالما أنه يعرف بول، فلا بد أنه شخص محترم. ومع ذلك فلا أستطيع فهم كنه هذه الدعوة.»

«لم لا؟ انه شخص مناسب تماما.»

«أجل، أعتقد ذلك. ولكن طوال حديثه معي، برغم أنه مهذب كنت أشعر أن هناك شيئا ما. يوحي بأنه لا يميل الي حقيقة. هناك خطأ ما في الأمر كله.»

«أعتقد أن لك خيالا خصبا. ان ما يعرضه عليك حل مقبول. ان كنت لا تستريحين اليه فانك لن تكوني مجبرة على الحديث معه طوال الوقت، انت ذاهبة الى المسرح. هل نسيت؟»

«أجل، أعتقد أنك على حق. يبدو أنني حمقاء.»

الفصل الاول

قالت جيني بصراحة كعادتها: «هل تعتزمين الزواج منه؟»

«لا أعرف.»

قالتها أليس فيرفاكس وهي تأخذ العقد من علبته المخملية وعلى جبينها تقطيبة قلقة. تنهدت قليلا وقالت: «هناك شيء واحد أكيد، وهو أنني سأرد هذا العقد.»

قالت جيني معترضة: «لست أدري ما الذي يدعوك الى ذلك. قدم لك بول الكثير من الهدايا، ولم تفكري ابدا في رفض أي منها.»

«ولكن هذا شيء مختلف. انا واثقة من ذلك. أنظري الى لون الذهب، والى طريقة صنع قفله، يبدو أثريا.»

«ربما كان يغدق عليك بهدايا الزواج من مقتنيات العائلة التي توارثها، وفي أي حال أفضل هذا التحول عن هدايا الزهور والعطور، وتلك الحلوى الفخمة التي لا نجرؤ على تناولها بسبب النظام الغذائي الذي نتبعه. أوه، وتلك الولاعة الرائعة، لقد نسيتها.»

«ولكنني لم أنسها، فهي أيضا ثمينة للغاية. هذا كله كثير، وبسرعة فائقة يا جيني، انا لم أتعرف عليه إلا من أسابيع فقط.»

www.liilas.com

«يقول البعض انها مدة كافية.»

«حسناً، ولكنني لا أقول ذلك. أريد أن أعرف الشخص معرفة تامة قبل ان امضي معه بقية عمري. انني لا أحب التسرع في الأمور.»

قالت جيني وهي تتنهد: «شاب فرنسي لم تر عيناي مثل جاذبيته، صغير وثري، نعم يا اليس انه لكذلك. لا يمكن لأحد أن يرتدي مثل تلك الملابس أو يقتني هذه السيارة ما لم يكن ثرياً. وهو يرغب في الزواج منك، وبدلاً من ان تلقي بنفسك بين ذراعيه تقولين...»

«سوف أفكر في الأمر.»

ابتسمت اليس لرفيقة سكنها بود. لقد كانتا رفيقتين منذ وصولها الى لندن، تشتركان في تلك الشقة الصغيرة في أعلى المبنى، المكونة من غرفة استقبال وغرفة نوم، فيها سريرين وخزانة ثياب، المطبخ الصغير، وحمام.

«أعني أنني سأفكر في الأمر ملياً. انك على سبيل المثال كنت تعرفين روجر منذ وقت طويل حتى قبل ان تفكري بالارتباط به. وهكذا ترين أنه لا يمكن لي ان أكتفي بمجرد تلك المعرفة السطحية ثم أترك للأمور أن تسير وفق هواها. هل أعرف أنا شيئاً عنه، عن عائلته أو الظروف التي تحيط به؟»

«ألم يذكر لك أي شيء عن أي فرد من أفراد عائلته؟»

«تحدث فقط عن والدته مرات قليلة. كما ألقى بعض

الاشارات الغريبة عن أخ له، وهذا يعطيني انطباعاً بأن هذا الجزء من حياته فيه شيء ما. بالطبع لم يقل هو ذلك بنفسه.»

«هكذا يقول لك حدسك الأنثوي. بصراحة يا عزيزتي انه فرصة العمر. وها هو على استعداد لأن يلقي بنفسه بين يديك. كما انك لا يمكن أن تنكري انكما تتوافقان بصورة جيدة.»

«أجل، بالطبع. انه شخص تحسن صحبته تماماً، فهو جذاب ولطيف ومسل، فيه كل ما يتمناه أي انسان ولكن...»

«ولكن ماذا؟»

«ولكنني لا أتصوره متزوجاً ومستقراً في حياة روتينية. خذي على سبيل المثال تلك الوظيفة التي يشغلها في السفارة. انه لا يأبه لها على الاطلاق.»

«حسناً، طالما انه على هذا الثراء الذي يبدو عليه، فلا حاجة به الى أن يشغل باله.»

«كلا، طالما كنت تشغلين عملاً فعليك أن تؤديه، لا أن تتلهي به. والآن أنظري الى العقد هذا. لو أنني أعلم من أين أتى به!»

قالت جيني بذعر: «بالتأكيد لا تعتقدين أنه سرقه؟»

ضحكت اليس وقالت: «بالطبع لا. ولكن كل ما في الأمر أن هذا العقد لا يتفق وشخصية بول فهو شخص يتسم بالعصرية أما العقد فهو بالتأكيد ينتمي الى عصور مضت.»

www.liilas.com

«اعرضيه على مافي. فما من فائدة ان تكوني سكرتيرة لرواية تاريخية ما لم تستفيدي من خبرتها في بعض الأحيان.»

«قد تكون على دراية بمثل هذه الأمور، ولكنني ما زلت اعتقد ان من الافضل ان أعيده الى بول عندما أراه الليلة.»

«هل تعتقدين أنه سيطلب منك الليلة رداً محدداً؟»

«أشك في ذلك، فنحن ذاهبان الى حفل رسمي من حفلات السفارة على ما اعتقد. على أي حال فان هذه فرصة لأن أرتدي ثوبي الشيفون الجديد.»

«كما أنها فرصة أيضاً لأن تضعي العقد.»

هزت أليس رأسها نفياً وقالت:

«كلا، سأعيده اليه، اظهر له انه لا يمكنني قبول مثل هذه الهدايا الثمينة، في الوقت الذي لم أتعرف عليه الا منذ تلك الفترة القصيرة.»

«حتى وان كان يرغب في الزواج منك ؟»

«من اجل هذا السبب بالذات. تعلمين ما يقال عن الزواج المتسرع. فكري أنت كم عاماً مضى عليك وأنت تعرفين روجر. كنت صديقته لمدة عام على الأقل قبل أن يعرض عليك الخطبة.»

ضحكت جيني وقالت:«ولكن روجر، ليس هو ذاك الشاب الفرنسي الأنيق الذي يرغب في ان يحملني ويطير.»

«لا أظن أنني أود ان يحملني ويطير. الواقع أنني لا

أعلم ما الذي أرغب فيه، لم يحدث لي من قبل مثل هذا التردد.»

التقطت جيني العقد لتفحصه بدقة وقالت:«أعتقد أن الاحجار الكريمة به ليست حقيقية.»

«لا يمكن أن تكون هذه الاحجار من الماس، أليس كذلك؟ انني أتساءل هل من العادات الغريبة للفرنسيين أن يقدموا مشابك للصدر بدلاً من خاتم الخطبة.»

«ما زلت اعتقد أن هذه الأحجار ليست حقيقية. أعني أنه لا توجد الآن أحجار ماسية بهذا الحجم الكبير، كما أن طريقة صنعها مختلفة أيضاً، ولكن لا جدال في أنه عمل اثري.»

«لا أشك في ذلك، ولكن المشكلة حالياً هي كيف أعيده اليه بصورة مهذبة.»

«ان مشكلتك الرئيسية في اللحظة الحالية هي أن تستعدي لهذه الليلة.»

نهضت أليس على عجل، رفعت شعرها ثم عرضت وجهها لبخار الماء المعطر، حاولت تجاهل ضيق الوقت، أغمضت عينيها وهي تقول لنفسها: لندع مشاغل يومنا تتبخر في هدوء. ان مارغريت ديزموند التي تعمل عندها، واحدة من أكثر الشخصيات جاذبية، ولكن عندما تشغلها فكرة كتاب جديد فانها تطلب ممن يعمل معها تركيزاً كاملاً. وكان على أليس أن تعترف أنه منذ أن عرض عليها بول الزواج قبل يومين لم تستطع أن تركز تفكيرها تماماً في عملها.

www.liilas.com

وبرغم ذلك، فان الكتاب الجديد الذي تعمل فيه ماغي كان هو سبب لقائها ببول. فهي مشغولة حالياً بالأبحاث التاريخية المتعلقة برواية حول الثورة الفرنسية، وقد ارسلت أليس الى السفارة الفرنسية للحصول على قائمة بأسماء المراجع وكتب السيرة الذاتية التي ألفها مؤرخ فرنسي شهير كانت ماغي تراسله وكان موجودا في لندن لعدة أيام قليلة.

وقامت أليس بتسليم رسالة من ماغي لبول الذي كان عليه أن يقودها عبر الممرات الكثيرة في السفارة الى الجناح الذي كان المؤرخ يقيم فيه، والمصادفة الغريبة التي وجدت فيها نوعا من الراحة. كان بول منتظرا لحظة خروجها، بل انه لم يكتف بمصاحبتها الى خارج السفارة وانما أصر على أن يصحبها في سيارته السيور الأنيقة للغاية حتى مكان عملها عند ماغي.

استقبلته ماغي بترحاب وطلبت منه تناول الغداء معهما محاولة التعرف به جيدا لربما كان مناسبا كزوج لأليس.

كانت ماغي سريعة في اجتذاب أية لمحة رومانسية لقصة حب حتى في المواقف غير المناسبة على الاطلاق، وهو الأمر الذي يفسر الشعبية البالغة لكتبها. وكان من الواضح أن بول حظي باهتمامها كزوج محتمل لأليس.

قالت أليس لنفسها لم اجروء على إبلاغها أنه طلب

مني الزواج، وإلا لسارعت الى ابلاغ أمي وأبي ولكان الاعداد للزواج، قد تم قبل أن أعلم أنا به.

رددت ماغي هذا الاسم ببطء، في محاولة لايجاد نوع من الارتباط به، ولكنه بدا لها غريبا عنها وغير حقيقي.

وحتى لو أنها تزوجت بول، فأين سيعيشان معاً؟ في فرنسا؟ كانت أليس تتقن الفرنسية الى حد ما خصوصا بعد استيعابها لبعض ما يردده بول، ولكن مع ذلك ما زالت لغتها الفرنسية في مستوى المدرسة، وبول نفسه يتكلم الانكليزية بطلاقة كاملة، ولكن لا بدّ وأن له أقارب لا يتقنون لغة أخرى.

قالت لنفسها وهي تجفف وجهها: لو أنني أحبه حقيقة، لما كانت هناك كل هذه الشكوك، ولكان ذلك الحب كافيا لاقامة كل الجسور اللازمة بيننا.

من الناحية الجسمانية، كانت تجد في بول ما يبعث فيها نوعا من النشاط والحركة، وهو أمر لم يستطع رجل من قبل فعله، ولكنها غير واثقة ان كان ذلك يرجع الى شعور حقيقي تجاهه، أم أنه مجرد رد فعل فتاة لا تجارب لها تقريبا إزاء شاب تعتقد أنه ذو تجارب عديدة. على أن الأمر أيضا يبدو أنه نوع من المبارزة بالنسبة الى بول، وتساءلت لو أنها استسلمت لرغبته، فهل كان سيظل راغبا في الزواج بها؟

لم تكن تلك الفكرة المبهجة، لذلك أبعدتها عن تفكيرها

تماماً وكان يجب عليها ألا تبخس بول حقه. لقد أصر دائماً على أن تراجعها في مواجهة عواطفه قد أسعده حقاً.

لقد أوضح لها أن المجتمع المتحضر الذي يستسيغ الكثير من التصرفات، لا يمكن أن يقر له قاعدة الإباحة بالنسبة الى المرأة التي يرغب في أن تكون زوجته. ومع أن أليس لم ترغب ابدا في أن تكون جزءا من هذا المجتمع المتحضر، إلا أنها شعرت بالضيق من موقفه هذا الذي يتميز به الرجال. وقد إحتجت في إحدى المرات على ذلك بقولها:

«ان تلك هي نظرة العصور الوسطى الى الأمور.»

رد عليها ضاحكا: «ولكن هذا حقيقي يا عزيزتي، كل الرجال يشعرون به في أعماق نفوسهم، حتى وان كانوا لا يجرؤون على التصريح به علانية. فالفتيات اللواتي يرغب الرجال في الزواج منهن يجب ان يكنّ لهم وحدهم. وأؤكد لك أن موقفي فيه كثير من العصرية والحضارة بالمقارنة، على سبيل المثال، بأخي.»

أحكمت الحزام حول ردائها المنزلي ودخلت الى غرفة النوم. كان لون بشرتها شاحبا بطبيعته ولكن يخلو من العيوب. وكانت معتادة على وضع طبقة خفيفة من المساحيق مع بعض التركيز على عينيها الخضراوين الناعستين اللتين كانتا أجمل ما في وجهها. سرحت شعرها الطويل الأصفر المائل الى الفضي حتى لمعت

خيوطه قبل أن تعقده، وتركت خصلتين منه تنسدلان في حرية وكأنما تحددان إطار وجهها. ثم ارتدت ثوبها المفضل وهو من الشيفون ذا اللون الذي يمتزج فيه الازرق بالأخضر. وأخيرا انتعلت حذاءها الفضي ذا الكعب العالي. كانت تأمل أن يعجب ذلك بول. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يراها في هذا الثوب. وكانت تعتقد أن حفل الليلة هام ولذلك صممت على ان تبدو في أحسن صوره. تعودت الأن على ومضات انوار المصورين الذين يحضرون مثل هذه الحفلات، وكانت دائما تتجنب انتباههم رغم أنها لم تر إحدى صورها في أي مكان، وان كانت تعتقد أنها تنشر في المجلات الفرنسية.

بعد ان أتمت استعدادها، نثرت بعضاً من عطرها المفضل، ونظرت الى نفسها في المرآة الطويلة التي عثرت عليها هي وجيني في أحد محال الأثاث القديم.

ظهرت جيني عند الباب الخارجي وهي تمسك بالعلبة المخملية، وقالت بإعجاب: «رائع. وهذا العقد سيكون هو اللمسة الأخيرة، خاصة مع الشيفون. جربيه على الأقل، ليس في ذلك ضرر.»

أخذت أليس العقد ووضعته حول عنقها. نظرت اليه بشغف وهو يعكس جميع الألوان في ثوبها. قالت جيني في رجاء:

«أوه أليس، يجب ان تضعيه. إنه يبدو رائعاً.»

هزت أليس رأسها نفياً، وما أن بدأت في خلعه إلا ودق جرس الباب.

«لا بدّ انه بول.»

هرعت أليس نحو الباب وفتحته، وهتفت مرحبة بالفرنسية:

«مساء الخير يا سيدي.»

«مساء الخير يا آنسة.»

لم يكن هذا هو الصوت الذي توقعت سماعه. ونظرت الى أعلى لأول مرة لتجد نفسها في مواجهة رجل غريب تماما. كان طويل القامة وأسمر اللون ذا شعر أسود. لم تستطع تحديد التعبير الذي بدا على وجهه، ولكن ظهرت على فمه الصارم ابتسامة باهتة بدون حرارة كأن هناك شيئا غامضا ينم عن الرفض في النظرة الفاحصة التي نظر بها اليها. رفعت اليس رأسها لتنظر اليه وقالت:«معذرة يا سيدي. كنت أنتظر شخصا آخر كما ترى.»

«هذا هو سبب وجودي هنا.»

أخرج مغلفا من جيبه وسلمه لها. كان عليه اسمها. فتحته وهي تشعر بالقلق وكانت في داخله رسالة من بول تقول:«أليس، حبيبتي، سامحيني، ولكنني لن أتمكن من الذهاب الى الحفل الليلة. حدث شيء غير متوقع على الاطلاق أجبرني على تغيير خططي. سأراك غدا لأعوضك عن ذلك. أقسم على ذلك.

المحب بول.»

«يؤسفني أن أكون حاملاً لأنبأ، سيئة.»

لم يكن في صوت الغريب شيء ينم عن الأسف وأردف:«لم يتمكن بول من المجيء بنفسه ليشرح الموقف، ولأنه لا يوجد لديك هاتف، فقد أسعدني أن أنوب عنه.»

«شكرا لك يا سيدي.»

لم تنسى أليس مبادئ السلوك الطيب برغم ما تشعر به من خيبة أمل مريرة. وقالت:«هل تتفضل بالدخول قليلا؟ أنا أليس فيرفاكس، وهذه رفيقتي في السكن جيني كارتوين.»

دخل الى غرفة الجلوس الصغيرة ووقف ينظر الى المقاعد المريحة والأريكة الصغيرة الموجودة أمام المدفأة. لم يظهر عليه تعبير محدد ولكن أليس أدركت أنه لم يعجب تماما بما رأى.

«انك لم تخبرنا عن اسمك يا سيدي.»

التفت اليها ورمقها بتلك النظرة التي تفحصها من رأسها الى اخمص قدميها والتي بدأت تستاء منها.

«أنا رالف دينيس في خدمتك يا آنسة. والآن بعد أن رأيتك يمكنني أن أقدر لماذا كان بول يائسا لعدم قضائه هذه الليلة معك.»

سكت لحظة ثم اردف:«لدي عرض لك يا آنسة. أنا أيضا عانيت من المصير نفسه هذه الليلة، فقد أصيب المرافق لي بمرض مفاجيء، وهناك حفل كوكتيل يجب

أن أحضره ثم حفلاً للمسرح فيما بعد. وبما أن كلا منا لم يعد له رفيق، فهل نستغل هذا الموقف في قضاء الليلة معاً؟»

حدقت فيه أليس وقالت مندهشة: «ولكنني لا أعرف، لم يذكر بول أمامي أبدا اسم رالف دينيس من قبل. هل أنتما صديقان حميمان؟»

هز كتفيه وقال: «لنقل أننا نعرف بعضنا منذ زمن طويل، وقد عهد الي في ثقة أن أجري، الى هنا لتسليم الرسالة. كما أنه سيكون مؤسفا ان تضيعي كل هذا التألق وهذا الثوب في المنزل، ولا حاجة بك أن تخشي شيئا. ان بول لن يغار مني»

«لعلمك يا سيدي، ليس لبول الحق في أن يغار من أي انسان.»

ونظرت الى رالف دينيس بشيء من الحيرة. انه على حق لقد كانت في كامل زينتها. وليس هناك مكان تذهب اليه، والبديل الذي يعرضه عليها يناسبها. قالت اخيرا: «حسنا يا سيدي. يسعدني أن أكون في صحبتك لو أنك سمحت لي أن أحضر معطفي.»

توجهت الى غرفة النوم وأغلقت الباب وراءها. كانت جيني جالسة على أحد الأسرة وقالت وهي تحملق فيها: «يا لك من محظوظة.»

«انني لا أدري. وطالما أنه يعرف بول، فلا بد أنه شخص محترم. ومع ذلك فلا أستطيع فهم كنه هذه الدعوة.»

«لم لا؟ انه شخص مناسب تماماً.»

«أجل، أعتقد ذلك. ولكن طوال حديثه معي، برغم أنه مهذب كنت أشعر أن هناك شيئا ما. يوحي بأنه لا يميل الى حقيقة. هناك خطأ ما في الأمر كله.»

«أعتقد أن لك خيالا خصبا. ان ما يعرضه عليك حل مقبول. ان كنت لا تستريحين اليه فانك لن تكوني مجبرة على الحديث معه طوال الوقت، انت ذاهبة الى المسرح. هل نسيت؟»

«أجل، أعتقد أنك على حق. يبدو أنني حمقاء.»

ارتدت أليس معطفها وقالت متنهدة: «لقد نسيت، الأرث التاريخي. ماذا سأفعل به الليلة؟ أين أخفيه؟ ليس هناك مكان آمن أضعه فيه.»

«اذا كنت قلقة عليه، دعيه حيث هو. انه يبدو في مكانه الطبيعي. أعتقد أن الرجل المجهول يرى ذلك أيضا. فلقد لاحظت أنه ألقى اليه نظرة فاحصة عندما أتى الى هنا.»

«يبدو لي انه من الخطأ ان ارتديه، طالما انني كنت عازمة على إعادته الليلة.»

«حسنا، على الأقل ستشعرين بالراحة وأنت تعلمين تماما مكانه. كما أن بول لن يعرف عن الأمر شيئا.»

«أعتقد أنك على حق. ولاكن صريحة معك. انني معجبة بوضعه هكذا.»

قالت وهي تثبت أزرار معطفها: «لست مستريحة

الى هذه الليلة، فانه يبدو لي مثيراً للقشعريرة.»

«على خلاف السيد بول ديجون على سبيل المثال، على فكرة، الا يذكرك ملك القراصنة ذاك بشخص ما؟»

«لا أعتقد ذلك. فيمن تفكرين؟»

«لا أدري. للوهلة الأولى، وأنت تفتحين له الباب، بدا شكله مألوفا.»

«لا اعتقد أن الألفة هي صفته الرئيسية. في الواقع أنني أتوقع أن أتحول الى لوح من الثلج في نهاية السهرة معه.»

عند عودتها الى غرفة الجلوس، وجدت السيد دينيس واقفا بجوار الخزانة الجانبية ينظر في إحدى المجلات، احدى هوايات صاحبة المنزل قراءة المجلات التي تظهر كيف يعيش النصف الآخر كما كانت تحب ان تصفها، وكانت دائما ترسل هذه المجلات الى الفتاتين وكان يبدو عليها خيبة الأمل عندما لا يبدو عليهما الاهتمام بكل ما فيها من مظاهر الترف.

تلك المجلة بالذات، دفعتها من تحت الباب عندما كانت الفتاتان في عملهما بالخارج وأرفقت رسالة كتبت عليها، إنتظرا لتريا هذه، ولكن أيا منهما لم يعرها اهتماما عندما عادتا الى المنزل لأن هدية بول التي تحتوي على العقد جاءت في الوقت نفسه واستحوذت على اهتمامهما.

عندما دخلت أليس الغرفة، ألقى رالف دينيس المجلة

جانباً والتفت نحوها. أفزعتها تلك النظرة الغاضبة التي رأتها في عينيه، ولكن قبل أن تتمكن من استيعاب هذا الموقف أو تبدأ في التساؤل عن السبب، تلاشت هذه النظرة من عينيه وعاد الى وجهه ذلك القناع من الغموض والتحفظ.

ابتسمت أليس بتكلف لم تكن في الواقع تشعر به، تمنت لو أنها رفضت الدعوة وأمضت المساء بجانب المدفأة في قراءة كتاب. كان من المستبعد تماما ان يتحول هذا الشخص الى رفيق مرح بعد كل ما رأت منه حتى الآن.

«أنني على استعداد تام يا سيدي.» ثم تحولت الى جيني وقالت: «الى اللقاء يا عزيزتي. أتمنى لك وقتا رائعا مع روجر، أراك غدا مساء. لا تنسي فهذا هو دوري في شراء الحاجيات.»

قاطعها السيد دينيس بصوت حاسم:

«ليس لدينا الوقت الكافي يا انسة. أقترح أن ترجئا هذه التفاصيل المنزلية الى وقت آخر.»

حاولت أليس الاحتفاظ بهدوئها. فهو صديق لبول. ولكنها كانت تشعر بالغضب في داخلها وهي تسير تجاه الباب قائلة في نفسها: الحيوان المغرور، كيف يجرؤ على التحدث معي هكذا؟ ليتني تركته يذهب الى الحفل بمفرده.

استمر الصمت بينهما الى أن هبطا الى الطريق حيث كانت تنتظرهما سيارة فارهة حمراء داكنة.

www.liilas.com

اختلست اليس نظرة الى رفيقها داخل السيارة وقالت لنفسها: ان جيني محقة فهو وسيم. لو أنه فقط حاول أن يبتسم قليلا. سألته بصوت حاولت أن يكون مرحا: «أعتقد يا سيدي أننا سنذهب الى حفل كوكتيل، هل لي أن أعرف أين؟»

«في دار فونتين.»

«فونتين للمنسوجات؟»

«تماما يا آنسة. هل تعرفين هذه الشركة؟»

«بالطبع لقد سمعت عنها، ومن لم يسمع بها؟ وقالما ما تنشر تصميماتها في مجلاتنا. انها رائعة، ولكنني أعتقد أن أسعارها تجعلها فوق مستوانا. ولا أظن ان شركة فونتين للمنسوجات وهيئة الفتيات العاملات يجتمعان معا.»

«صحيح ان منتجاتنا تقتصر على دور الأزياء. ولو أننا طرحناها في أسواق الجملة لما كانت تنال القيمة الخاصة. ومع ذلك فلسنا نتجاهل مطالب سوق الجملة ولدينا خطط معينة لامداده.»

تحسس جزءا من قماش ردائها الشيفون الذي كان يظهر من تحت معطفها وقال: «هذا التصميم، على سبيل المثال، ساحر.»

«انك تدهشني يا سيدي، فلم اكن أظن أنك لاحظته.»

«انت مخطئة يا آنسة. سوف تكتشفين انه لا تفوتني ملاحظة سوى القليل جدا.»

قال ذلك كأنه يحذرها من شيء. ولكن ما هو؟ انهما غريبان تماما، ولو أن هناك أي عدل أو رحمة لما تقابلا ابدا بعد تلك الليلة. اذن ما الذي يدفعه الى ذلك الموقف الغريب؟

توقفت بهما السيارة أمام المبنى الأنيق. وقادها السيد دينيس عبر المدخل ممسكا بذراعها بقوة. كانت اليس منزعجة من قبضته لسبب لم تكن هي نفسها تفهمه.

ذهبا الى الطابق الأرضي حيث كان الحفل في صالة واسعة. وعندما وصلا كان المكان مكتظا والحفل في أوجه. وعند المدخل طلبت منها المضيفة معطفها في أدب. وأدركت اليس تماما من الذي ساعدها في خلع المعطف لهذا كان نبضها يزداد بسرعة، وشعرت بالغضب من نفسها لذلك.

سألها السيد دينيس: «ماذا تشربين؟»

«عصير الليمون من فضلك.»

تظاهرت اليس بالهدوء وهي في انتظار النادل الذي أسرع تلبية لإشارته. قدم لها كوبا وأخذ هو كوبا آخر من الشراب، ثم أخرج من جيبه علبة سجائر ذهبية، وقدم لها سيكارة. فتحت اليس حقيبتها وأخرجت الولاعة. أخذها من يدها وأشعلها بسهولة وقدمها لها.

«انها مهارة منك. لقد فشلت في استخدامها في المرة الأولى.»

«انها أنيقة للغاية. أهنئك على ذوقك.»

«الفضل يرجع الى شخص آخر يا سيدي. انها هدية من صديق.»

«آه.»

قالها بنبرة مقتضبة. أشعلت غضبها ودفعت الدماء الحارة الى وجهها من جديد.

كان الكثير من المدعوين يصلون طوال الوقت، وأدهش أليس أنه عند دخول أي منهم كان المسؤول عن الحفل يعلن عند الباب عن اسم الضيف بصوت عال. قالت في نفسها ان أحداً لم يعلن عن قدومنا. ربما لأننا دخلنا من باب جانبي. أرجو ألا يكون من الأشخاص الذين يتطفلون على مثل هذه الأماكن أو شيئاً من هذا القبيل. ولكنه يتحدث عن فونتين وكأنه ينتمي اليها.

تحولت ببصرها بحثاً عن منفضة سجائر، وجاء رجل طويل القامة مسرعاً تجاههما:

«رالف، صديقي العزيز! كم أنا سعيد لأنك تمكنت من الحضور. أننا لم نعد نرى بعضنا كثيراً هذه الأيام، وهذا شيء مؤسف. لماذا لم تخبرنا بمجيئك حتى نعد لنا هيلين حفل عشاء؟»

«للأسف! يجب أن أعود الى باريس فوراً.»

لأول مرة أضاءت وجه السيد دينيس ابتسامة حقيقية جعلته يبدو في سن أصغر وجاذبية طاغية. تساءلت أليس: ترى كم يبلغ من العمر؟ في أوائل الثلاثينيات

بالتأكيد. انه يبدو نحيفاً بالمقارنة مع طول قامته ولكنه كان يتحرك برشاقة فائقة.

كان هناك شيء غريب فيه، كما قالت جيني تماماً. هناك ألفة في مظهره تبدو عابرة بحيث لا تستطيع أن تربط بينها وبين أحد تعرفه.

ربما يشبه أحد نجوم السينما! ولكنها نادراً ما تذهب الى السينما.

«أنسة فيرفاكس، أقدم لك ماكس برينتس المدير الاداري لفرع فونتين، لندن. ماكس، انني لست في زيارة طويلة، ولكن هناك مقطتين لهما طبيعة شخصية أود أن أناقشهما معك. سيكون بيننا فسحة من الوقت عندما أعود في الخريف.»

«وهكذا فانني أعذرك.»

ابتسم برينتس الى أليس وقال: «ما رأيك في آخر تصميم لنا؟»

«لم أره بعد. هل الحفل مقام لهذا السبب؟»

«يا صغيرتي، كم تجاهلناك. رالف، أحتفظ بهذه المخلوقة الساحرة لنفسك فقط ولا يخطر لك حتى ان تحيطها علما بسبب اقامة هذا الحفل؟»

قادها الى صالة العرض عبر الردهة وأشار قائلاً: «اليك آخر تصميم لنا...»

«أوه! انه شيء خرافي. ليس هناك من كلمة أخرى يوصف بها. ولكنكم بالتأكيد لا تنتجون تصميما واحدا في الموسم.»

«أوه، كلا، اننا نعرض المجموعة الكاملة على بعض المشترين بشكل خاص. ولكن هناك دائما أحدث المنتجات المختارة التي تبين الاتجاه الذي سنسير عليه في اي تصميم آخر لنا.»

«أحب أن أرى تلك المجموعة الكاملة.»

«يمكننا بالتأكيد أن نرتب لك هذا الامر. سوف أحصل لك على موافقة رالف.»

أدركت أليس أن رالف جاء في هدوء ليقف خلفهما، ولاحظت انه يراقبهما باستمتاع وقال «يمكن لنا بالتأكيد أن نقوم بزيارة لغرف التصميم اذا رغبت في ذلك، ولكنني أمل يا ماكس ألا تقترح التصميم لها. أعتقد أنه لا يلائم لون بشرتها.»

«بالتأكيد. انني أفكر لها في تصميم لليالي الصيف، كم يناسبها ذلك بألوانه الزرقاء العميقة ولمعته الفضية. أليس كذلك يا رالف؟»

«شيء غير معقول!»

أدركت أليس ان رالف دينيس يتفحصها بامعان وأحست بحمرة الخجل تعلو وجنتيها.

نظرت أليس بعد أن ابتعد برينتس وقالت:

«هل اجراءات الأمن مشددة هنا؟»

«بالطبع. هناك حراس للأمن لمنع التصوير غير الرسمي. لقد وقعت دائما حالات لسرقة تصميماتنا، ولذلك فنحن لا نترك الآن شيئا للظروف.»

نظرت أليس الى القماش المعروض وقالت:

«انه رائع جداً. انه يشبه روح الربيع.»

«انه ناعم وملفت مثل المرأة، أليس كذلك يا جميلتي؟»

أحست أليس بالإرتباك قليلاً وتحسست العقد الذي أعطاها إحساسا بالثقة، ومنحها الجرأة لترد تلك النظرة الفاحصة الى ذلك الغريب. قالت وهي تحاول إخراج صوتها بشكل عادي.

«إن السيد برينتيس شخص جذاب. هل تعرف جميع الحاضرين هنا؟»

«كلا، وما الذي يدعوني لذلك.»

«حسنا. ألم تأت الى هنا لمقابلة شخص معين؟»

«كلا. انه من قبيل الصدفة أن يقام هذا الحفل أثناء وجودي في لندن. فأنا أعلم أن فرع لندن يسير بصورة طيبة ولذلك لا يحتاج مني الى اهتمام كبير.»

لم تستطع أليس أن تمنع نفسها من السخرية وهي تقول:

«لا بد أن ذلك يسعدهم كثيراً. ما الذي تفعله بالتحديد ليجعلك في مثل هذه الأهمية يا سيدي؟»

«انني لا أفعل الكثير. أنا المدير الاداري للبيت الفرنسي، ولكن جدي هو الذي كان له الأهمية. فان فونتين من تأسيسه، وذلك هو السبب في أن عائلتنا تحتفظ بميزة ادارته.»

توقفت أليس عن الكلام لفترة طويلة ثم قالت بهدوء:

«يجب علي أن أعتذر يا سيدي.»
«ولماذا الاعتذار؟ لم يكن هناك سبيل لأن تعرفي.»
نظر الى ساعته وقال:«أعتقد أننا قمنا بواجبنا هنا. لقد حان الوقت للذهاب الى المسرح.»
حاولت اليس تهدئة أعصابها حتى تحتمل المحنة القادمة.
«سنذهب الى المسرح في سيارة تاكسي.»
«ولكن لماذا لا نذهب في سيارتك؟»
«أفضل ألا أتعرض للمشاكل الانكليزية في إيقاف السيارة لقد أمرت السائق ان ينتظرني عند شارع آخر الليل. سوف نأخذ عشاء بعد انتهاء المسرح.»
كانت اليس تعتزم ان تعتذر بعد المسرح لتتركه لشأنه بقية الليل، ولكن يبدو أنها ستحرم من النوم مبكرا أيضا.
«تشجعي يا جميلتي. الليلة ما زالت في بدايتها.»
هل أحست اليس بنبرة خبث في حديثه؟

الفصل الثاني

طوال رحلة التاكسي الى الوست إند لاحظت اليس، لدهشتها، ان رالف دينيس تغير كثيرا. فلم يعد يلقي بتلك الكلمات التي تحمل معاني خفية والتي عنيتها كثيرا. وعندما أشار الى المسرحية التي اختارها، قالت مبتهجة:«هذا رائع! كنت أود مشاهدتها منذ فترة.»
حاولت إقناع بول باصطحابها في عدة مناسبات، ولكنه كان يعتذر دائما بأن المسرح التقليدي يصيبه بالملل، وأنه يفضل مشاهدة برامج النوادي الليلية الخفيفة.
كانت المسرحية إنتاجاً رائعاً ومثيرة للتفكير والمناقشة. وخلال فترة الاستراحة وجدت اليس نفسها في نقاش مع رالف حول تأثير المواجهة بين الشخصيتين الرئيسيتين في المسرحية. أدركت أيضا انه خلال هذا النقاش لم تشعر إطلاقا بالضيق بل شعرت تماما أنها انه غريب عنها.
أعتقد أن المرأة التي تلعب دور الابنة لها مستقبل، أليس كذلك؟»
وافقته اليس وهي ترشف كوب عصير وقالت:«هل تذهب الى المسرح كثيرا في باريس، يا سيدي؟»
«للأسف أذهب قليلا جدا. انني أقضي معظم وقت

الفراغ في الريف في بيتي هناك. فان والدتي مريضة الى حدما. وأنا أفضل أن أكون إلى جانبها أكثر وقت ممكن.»

ثم قال بصورة غير متوقعة:«قولي لي. هل يستوجب اتباعكم للتقاليد الانكليزية المتحفظة الا تناديني بـ رالف؟»

كبحت أليس جماح نفسها حتى لا تقول له ان هذا التعامل بشكل رسمي كان من صنعه هو منذ بداية السهرة، واكتفت بالرد:

«انا لست بهذا التزمت والتقليدية. سوف اناديك رالف.»

«رائع. وأنا بماذا اناديك؟»

«أليس، هذا هو اسمي في الواقع.»

خلال الفصل الثاني من المسرحية، شعرت أليس انه يراقبها طوال الوقت. كانت هذه المراقبة الدقيقة والنظرات المتفحصة والتصرفات الغريبة منذ طوال السهرة قد سبب التوتر لأعصابها.

بعد انتهاء المسرحية سألها رالف دينيس:

«هل تفضلين مطعما معينا أم أنك على استعداد لترك الاختيار لي؟»

«انني على استعداد تام. أود أن أنبهك. لقد استمتعت كثيرا ، ولذلك لا أتوقع منك إلا الأفضل دائما.»

«وهو كذلك، أعدك أن تجدي بقية السهرة أكثر تسلية.»

عاد اليها من جديد ذلك الشعور الغامض بعدم الارتياح لكلامه. كان المطعم الذي اختاره من أكثر المطاعم هدوءا، وبذخا وخلال تناول العشاء حاول رالف مرة التقرب منها ورفع الكلفة بينهما، الأمر الذي أصابها بارتباك شديد. وأحست أنه يفعل ذلك عن عمد، ولكن لماذا؟ وتمنت من كل قلبها أن تنتهي تلك السهرة.

كانت الوجبة شهية والخدمة سريعة وممتازة. أسندت أليس ظهرها الى المقعد وهي تشعر بالدفء والراحة لتقديم القهوة في نهاية الوجبة. أغمضت عينيها لحظة، وعندما فتحتهما، وجدته يراقبها. قال بهدوء:

«أعتقد أن الوقت قد حان للانصراف.»

قالت أليس حالمة:«هذا هو أفضل مكان يمكن ان تنتهي فيه سهرة أو أن تبدأ!»

تعثرت أليس وهما في طريقهما خارج المطعم، وجلست متهاوية تماما داخل سيارة الأجرة، أغمضت عينيها من جديد، وعندما فتحتهما لم تستطع رؤية ما حولها بوضوح. قالت لنفسها: ان هذا فظيع!

سألها وهي تحاول جمع شتات نفسها لتجلس مستقيمة:

«هل تشعرين بشيء؟»

«كلا. انني على ما يرام.»

كانت تكذب. استرجعت أحداث الليلة، ان القهوة السوداء والفراش في أسرع وقت ممكن هما العلاج

الوحيد لما هي فيه. عندما وصلت بهما سيارة الأجرة أمام منزلها، دفع رالف الحساب للسائق وألقى نظرة على الطريق.

«يبدو أن سيارتي لم تصل بعد. هل هناك هاتف قريب؟»

«هناك غرفة هاتف عند مفرق الطريق.»

انتظرت اليس منه أن يلقي اليها بالتحية ويمضي في طريقه، ولكن لم يبد عليه أنه يعتزم الانصراف. وهكذا وجدت نفسها مضطرة للقول: «هل تريد فنجاناً من القهوة؟»

«شكراً.»

أخذ من يدها المهتزة مفتاح الباب الخارجي، وفتح الباب بنفسه قائلاً: «تفضلي.»

ارتاحت حين وجدت نفسها أخيراً منفردة بسلام وهدوء في مطبخها الصغير. فقد تركها رالف تصنع القهوة وذهب ليجري المكالمة الهاتفية. بدأت تشعر بالاتزان وهي تحمل القهوة الى غرفة الجلوس لتضعها على الطاولة بجانب المدفأة.

«هل يضايقك ان أشعل النار.»

كان رالف واقفاً بجوار الطاولة ممسكاً بمجلة السيدة هندرسون.

«كلا، انها فكرة طيبة. دائماً يكون الجو بارداً في الهزيع الأخير من الليل. على الرغم من أننا ما زلنا رسمياً في أوائل الصيف.»

«هل سويت الأمر بالنسبة الى سيارتك؟»

«أجل. حدث سوء فهم، ستكون هنا حالاً.»

«هذا شيء جيد.»

«أشعر بالاحباط هل تودين أن تنتهي الليلة هكذا سريعاً؟»

«لم أعن ذلك. هل تريد مزيداً من القهوة؟»

«كلا، شكراً. رغم أنها كانت قهوة لذيذة.»

«هذا رأي الجميع.»

ابتسمت وهي تفكر في بول، الذي عبر لها مراراً عن تقديره لقهوتها بشيء من المبالغة. وكأن هذه الابتسامة أشعلت ناراً في رالف قال: «اليس.»

كان صوته خشناً، ولم تعرف ما اذا كان ذلك غضباً أم نوعاً آخر من العاطفة. وقبل ان تسنح لها الفرصة للاعتراض اقترب منها وجذبها اليه وأحاطها بذراعيه وأسكتها... وكانت في ترتيبي بلا حراك بين يديه.

«اليس، انك لا تدرين ما الذي تفعلينه بي.»

انحنى عليها من جديد واحست بانفاسه على كتفيها. كانت تلهث، وعروقها تنبض بسرعة... وشرعت تبادله تلك العاطفة المتأججة وهو يتمتم بكلمات الحب بلغته الفرنسية.

في تلك اللحظة سمعت صوت شيء معدني يرتطم بالأرض ويتدحرج بعيداً. انه العقد الذي أهداه إياها بول.

فجأة أدركت اليس في وهن ماذا يحدث لها: «كلا!»

www.liilas.com

انتزعت نفسها من بين ذراعيه، وألقت نظرة سريعة على نفسها في المرآة التي تعلو المدفأة. شعرها منسدل على كتفيها وثوبها ممزق.

«أوه، يا لك من متوحش، كيف تجرؤ؟»

«أجرؤ؟»

حدق فيها بعينين تشتعلان، وبدا خطيراً وكأنه نمر متوحش وأدركت اليس مذعورة أنها هنا منعزلة تماماً ومعظم الجيران غير موجودين تلك الليلة، وهو يعلم أن جيني أيضاً لن تعود الليلة. لا بد أنه خطط كل ذلك عن عمد.

«كنت أعتقد يا جميلتي أننا توصلنا الى نوع من التفاهم. من المؤكد أنك لا تحاولين التظاهر بأنني أول رجل يبيح لنفسه خدمتك.»

«خدمتي؟ انك لا تعني، من المستحيل ان تتصور أنني، لن أسمح لك...»

«منذ لحظة مضت، كان لدي كل الاسباب أن أظن ذلك.»

كانت نظراته تتفحص جسمها في إعجاب وقح.

«فيما يتعلق بي يا جميلتي، فان قبولك دعوتي الليلة، تعني أنك وضعت نفسك تحت تصرفي، وانني أسف كونك لم تقي بالجزء الخاص بك من الصفقة.»

«أخرج، أخرج حالا قبل ان أستدعي الشرطة!»

«كيف تفكرين في هذا؟ لو انني مكانك ما لجأت الى استدعاء الشرطة. الشرطة في انكلترا ليست حمقاء،

وهو يعلمون تماماً ماذا يفعلون بامرأة شابة تسمح لرجل أن يصطحبها للعشاء، والسهر طوال الليل، ثم تصرخ في النهاية بانها تتعرض للاهانة في شقتها. هذا بالاضافة الى أنه لم يصبك سوء سوى في ثوبك، وربما في كرامتك.»

التقط معطفه وسار نحو الباب وقال في انحناءة خفيفة:

«ليلة سعيدة.»

اندفعت اليس بعد خروجه وأوصدت الباب خلفه، واسندت رأسها عليه لتسمع وقع خطواته هابطاً الدرج. أخذت انفاسها تتقطع في تشنج عنيف يلف جسمها كله.

بعد فترة تمكنت من جمع شتات نفسها وسارت ببطء الى غرفة النوم وألقت بنفسها فوق السرير، وهي تحس بخدر في جسدها وألم حاد في حنجرتها والدموع تنهمر من عينيها.

ألقت اللوم بمرارة على نفسها لأنها وافقت على الخروج معه. ولكن بول يعرفه، ومن الواضح أنه يثق به.

أما أكثر ما كان يثير الخجل في كل ما حدث أنها سمحت له بتقبيلها. لم تقاوم، بل لم تكن تريد المقاومة، الى إن فرض بول نفسه على ذاكرتها، بالصدفة تقريباً.

بول! آه لو أنه علم! هل سيخبره هذا الرجل؟ يجب

www.liilas.com

ألا يعلم. فسيشعر بإهانة بالغة، وله الحق في ذلك. ان تتصرف بهذا الشكل مع رجل ليس بغريب فقط، بل رجل كانت تصرفاته معها منذ البداية توحي بنوع غريب من الاحتقار لها.

وأسوأ ما في الأمر أنها ما زالت تحس بلمسات شفتيه ويديه، وكأنه درس لا يمكن ان تنساه.

نهضت من سريرها خلعت فستانها ورمته بعيداً على الأرض. كان أحب الأثواب اليها، والآن إنها لا تحتمل مجرد النظر اليه.

لفت جسمها برداء المنزل وانتقلت الى غرفة الجلوس لتشعر بالدفء. هناك، وعلى رغم أن جيني لم تقض تلك الليلة مع أسرة روجر، فهي بحاجة ماسة لسماع صوت ودود الى جانبها لئلا تجلس هكذا وحيدة مع أفكارها. الحل لتلك الحالة يكمن في كوب دافئ من الحليب وحبتين اسبيرين، وبعض الصوضاء. ادارت الراديو على موسيقى هادئة وشاعرية. ثم حملته معها الى المطبخ لتستمع اليه وهي تعد الحليب.

عادت الى غرفة الجلوس، وضعت كوب الحليب على الطاولة التي تتوسط الغرفة. كان فنجان القهوة الذي استخدمه رألف ما زال هناك. ثم توجهت الى الخزانة الجانبية لتحضير الاسبيرين.

وقعت عيناها على رسالة بخط جيني تركتها فوق الخزانة الجانبية كتب فيها: «حضرت ما فني فور ذهابك. كانت تبدو في غاية البهجة. والغموض

أيضاً. يبدو أن شيئاً رائعاً حدث لها. ولكنها ستقوله لك بنفسها غداً.»

قطبت أليس جبينها لحظة. انها ليلة الأحداث الغامضة، وهي لم تعد تحتمل الغموض بعد الآن. وضعت الرسالة فوق الوسادة، وبدأت تقلب في مجلة السيدة هندرسون. قد تكون هذه المجلة آخر شيء يستحق القراءة، ولكنها تفيد في إبعاد أحداث هذه الليلة عن تفكيرها ومساعدتها على النوم. وما ان استلقت على الأريكة لقراءتها، حتى رأت أن أحد أطراف صفحاتها قد ثني عن عمد. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أن شخصاً ما، ربما كانت السيدة هندرسون، وضع خطاً أزرق تحت إحدى الصور المنشورة بها. صاحت أليس: ماذا؟ وهي تنظر عبر مصيدة الصورة المنشورة قد التقطت في إحدى الحفلات التي أقامتها السفارة الفرنسية منذ عدة أسابيع مضت، عندما ذهبت في الخروج مع بول. وكانت لهما وهما يقفان في أسفل درج غير مدركين على الاطلاق بأن هناك صور تلتقط لهما. وقرأت جملة كتبت تحت الصورة تشير الى بول بالدبلوماسي اللاهي وتصف أليس بأنها آخر فتاة شوهدت بصحبته. التعليق تحت الصورة يوحي بأنها واحدة من فتيات المدينة الخليعات. اذن هذا ما كانت تعنيه السيدة هندرسون برسائلها! انه امر فظيع، وتمنت لو أن احداً آخر لم يشاهد هذه المجلة.

www.liilas.com

عادت أفكار اليس للحظة التي شاهدت فيها تلك النظرة الغاضبة في عيني الرجل، والمجلة ملقاة أرضا باحتقار، وأدركت اليس السبب الذي أثار غضبه، ولكنها لم تستطع ان تفهم لماذا تأثر بهذه الصورة الى هذا الحد.

على أي حال لن ترى نيفيس بعد اليوم ابداً، واذا ما ذكر بول اسمه أمامها، فما عليها إلا أن تتجول الى موضوع آخر للحديث. هكذا ظال بها التفكير الى أن غلبها النعاس في نهاية الأمر.

عندما استيقظت على صوت جرس المنبه، لم يكن هناك شك في أنها تشم رائحة قهوة. وما أن ازاحت الأغطية عنها لتستقصي الأمر، دخلت جيني الغرفة وهي تبتسم، وبين يديها صينية عليها قدحين من القهوة. أدركت اليس أن السرير الآخر في الغرفة غير مرتب. قالت بدهشة:

«اذن لم تقضي الليلة عند عائلة روجر؟»

«كلا، فوالدته لم تكن صحتها على ما يرام، يبدو أنها مصابة بنوع من الفيروس. أعادني روجر الى هنا في وقت متأخر، وكنت أنت غائبة عن العالم تماماً. بالمناسبة، انك مدينة لي بالشكر على ما قمت به من عمليات تنظيف..»

«تنظيف؟»

حملقت فيها اليس، ثم تذكرت، بشيء من الخجل، ما خلفته ليلة أمس من آثار تركتها في غرفة الجلوس.

قالت جيني بشيء من اللوم: «تركت المدفأة مشتعلة. ماذا حدث؟ هل كان تأثير القرصان عليك كبيرا الى هذا الحد؟»

حاولت اليس تجنب نظرة جيني الفاحصة بدون جدوى. قالت جيني: «هيا، أخبريني بكل شيء..»

«أوه جيني، لقد كان ذلك فظيعاً!»

بكلمات محدودة ومختصرة روت اليس الخطوط العريضة لأحداث الليلة السابقة، التي أفضت الى محاولته إغوائها. استمعت اليها جيني فاغرة فاهها وقالت:

«ولكنه صديق بول! تلك الرسالة التي جلبها كانت بخط بول. أي نوع من الرجال هو، حتى يتصرف على هذا النحو مع فتاة صديقه؟»

«انه في الواقع لم يقل انهما صديقان، بل من المعارف القدامى. ربما لأنه لا يميل الى بول وكان يحاول القيام بأي شيء لايذائه.»

«هل ستقصين الأمر على بول؟»

«أوه! كلا! ما عساي أن أقول؟ هذا... هذا الانسان كان على حق، كان بامكانه ان يحصل عليّ بل كان على وشك أن يفعل لولا العقد ذاك... لقد تذكرت لتوي! سقط وربما يكون قد فقد مني، أو أنه قد أخذه معه. أوه جيني ماذا عساي أن أفعل؟»

«لا تقلقي على ذلك الارث التاريخي. عثرت عليه فوق السجادة ووضعته في أمان داخل علبته.»

توقفت أليس عن الكلام فترة ثم قالت «جيني، كيف تشعرين وأنت مع روجر؟»

«أتعنين عندما يقبلني؟»

«أجل، الواقع انني خجلة من سؤالي لك هذا، ولكنني لا أستطيع أن أحكم من مجرد شعوري بالوجود مع بول، كنت أظن أن كل شيء بيننا على ما يرام تماما، ولكن الليلة الماضية... لا أدري ان كان هناك أي انسان يمكنه الشعور بمثل ما شعرت به.»

«ان الرجال من نوع رالف دينيس يجب اما ان يوضعوا في سجن مغلق من اجل إقرار الأمن، أو أن يتركوا لتصرف كل النساء.

لا أستطيع وصف شعوري مع روجر، كل ما يمكنني قوله هو أنك ستعرفين عندما تلتقين بالرجل المناسب، اذ لن تكون هناك أي شكوك. ولكن لا تنخدعي بمثل هذا الروميو القادم من أوروبا. والذي ربما تعرف على نساء كثيرات. ليس هذا هو الحب. إنه الهوى، لا تخلطي بينهما حتى تكوني واثقة من الحب.»

«انني لم أعد متأكدة من أي شيء على الاطلاق، شكراً لك على إنقاذ العقد. أشعر الآن أكثر من أي وقت مضى بضرورة أعادته. ترى ماذا سأقول له؟»

«قولي له ما كنت تعتزمين من قبل قوله. قولي ان تلك الهدية أثمن من أن تقدم في مثل هذه المرحلة من علاقتكما. كما أنه من الضروري أن تكون معرفتك به أوثق حتى قبل أن تفكري بالزواج

منه. هل تحبين أن أكون معك في ذلك الوقت.»

«كلا. أعتقد أنني يمكن أن أقوم بمفردي بهذا الدور. والآن يجب علي إرتداء ملابسي وإلا فأنني سأتأخر عن موعدي.»

أخذت على عجل فنجاناً آخر من القهوة، وقطعة من الخبز المقدد، ثم ارتدت ثوبها الصوفي ذا اللون العاجي، ومعطفاً خفيفاً. وخرجت لتستقل مترو الانفاق.

عندما وصلت أليس الى منزل ماغي، كانت تشعر بشيء من الإنتعاش. كانت ماغي أرملة غنية ولكنها تكسب أيضا أموالاً طائلة من بيع كتبها الرائجة، طويلة القامة وقد خط الشيب شعرها. ومع ذلك كانت جذابة للغاية رغم أنها في الخمسينات من عمرها. كان من عادة ماغي عندما تؤلف كتاباً أن تعمل فيه معظم الليل وتترك أليس لتعيد كتابته في الصباح على الحاسوب.

عندما دخلت أليس هذا الصباح، بادرتها ماغي قائلة

«حضرت أخيراً يا عزيزتي.»

«لم أتأخر عن موعدي أليس كذلك؟»

«كلا، لم تتأخري بالطبع، ألم تعطك جيني رسالتي؟»

«أجل، ولكن فيها بعض الغموض؟»

«أولا، وقبل كل شيء، هل جواز سفرك جاهز؟»

«أجل، ماذا؟»

«لا تقولي ماذا؟ قولي أين. ما قولك في ان تمضي الشهر القادم في قصر فرنسي كان قد تعرض للنهب أيام الثورة، ولم ينقذه من الدمار تماما سوى بعض الخدم المخلصين؟ ليس هذا فقط، وانما هناك ايضا كثير من الأوراق المتعلقة بتلك الفترة حفظت بعناية، بما في ذلك مذكرات صاحب القصر عن تلك الفترة قبل أن يقودوه الى المقصلة. لقد دعينا للاستفادة من كل هذه الأوراق كما نشاء.»

«أوه، ماغي! انه حلم. كيف حدث ذلك؟»

«آه، لقد فقد جدي الأول رأسه تحت المقصلة، ولكن ابنه نجا بحياته وفر الى انكلترا ومعه معظم مجوهرات العائلة وتزوج سيدة انكليزية ثرية. وعندما عادت الأمور الى طبيعتها في فرنسا عاد هو أيضا واستعاد القصر، وابنه، الذي كان له ايضا ابن...»

«اعتقد أن شجرة العائلة هذه ستقودنا الى شيء ما.»

«صحيح يا عزيزتي. ستقودنا الى السيد بول ديجون الذي يجب علينا تقديم الشكر له على هذه الدعوة.»

«بول يمتلك قصرا؟»

«ليس هو في الواقع بل أخوه الأكبر الذي أصبح حاليا الامير ديجون. ولكنه بالطبع منزل بول أيضا، والدته تعيش هناك ويبدو انه كتب اليها عندما سمع باعتزامي وضع كتاب عن فترة (حكم الرعب.)

وأعرب لها عن اعتقادي بأن مغامرات جد جده الكبير يمكن أن تكون أساسا لكتاب رائع، وقد وافقت أمه. وتلقيت منها رسالة رقيقة موقعة أيضا من الامير نفسه. والآن، ماذا بك يا عزيزتي؟ كنت أظن أنك ستبتهجين.»

«انني مبتهجة من أجلك. ولكن...هل من الضروري أن أذهب أنا أيضا؟»

«بالطبع. فانت سكرتيرتي، ولا يمكنني الاستغناء عنك. بالاضافة الى أنني أعتقد أنك وبول... لقد بدا كل شيء مناسبا تماما.»

«تلك هي المشكلة. انني لم أقرر بعد شيئاً بالنسبة الى بول. ويبدو لي أن تلك الدعوة تهدف أساسا الى ممارسة مزيد من الضغوط حتى أوافق.»

«من الناحية الأخرى، فان رؤيتك له في وطنه، ووسط أفراد عائلته، قد يساعدك على اتخاذ قرار. فالانسان يكون على طبيعته في منزله، وقد تحبينه أكثر وهو بعيد عن أضواء السلك الدبلوماسي.»

«ربما تكونين على حق، على اي حال فانه لن يكون هناك طوال الوقت، فلديه عمله هنا.»

«لا تعولي على ذلك كثيرا. فقد أشار الي مؤخراً بأنه سيحصل على اجازة. أعتقد أنه ينوي أن يكون دليلنا وصديقنا خلال هذه الزيارة.»

«أوه، ماغي، لم لا تكون الحياة بسيطة وتظهر لنا فقط اللونين الأبيض والأسود.»

www.liilas.com

«لأنها لو كانت كذلك لما كان الاستمتاع بها.»

رن جرس الهاتف. رفعت اليس السماعة، وهتف صوت بالفرنسية: «حبيبتي!»

«أوه بول. كم أنا سعيدة أن أسمع صوتك.»

«أخشى ألا يسعدك سماعه الآن، فانني مضطر أن أؤجل موعدنا الليلة. هل أستطيع أن ألقاك اليوم على الغداء في المطعم الايطالي كالمعتاد.»

«لا مانع.»

قالتها اليس وهي تحاول إخفاء خيبة الأمل في صوتها.

«الى اللقاء اذن.»

قالت اليس لنفسها: ان هذا مضحك. لو كنت أنا أتساءل طوال الوقت ما اذا كنت أرغب في الزواج به أم لا، فانه هو أيضا بالتأكيد يتساءل عن الشيء نفسه بالنسبة إلي.

عندما وصلت الى المطعم كان بول هناك منتظراً. قالت اليس بعد أن تناولا الغداء: «الطعام هنا له مذاق شهي.»

«هذا حقيقي. انه المكان الوحيد الذي سافتقده عندما أرحل.»

«هل ستغادر لندن؟»

«خلال أسبوع. عليّ أن أعود الى بلادي، ولكن لا بدّ أن تأتي فتاتي اليس معي. فانا أرغب بأن تشاهدي بلدي، ضيعتي وأن تقابلي عائلتي. وكنت أمل أن

يتم ذلك وأنت خطيبتي بالفعل. ولكنني راض بما تقولين وسوف أنتظر بصبر. ان والدتي لا تعلم شيئاً سوى أن السيدة ديزموند، التي تعجب كثيراً بكتبها، ستقوم بزيارتنا ومعها سكرتيرتها. انها سعيدة، السيدة ديزموند سعيدة، لماذا لا تكونين أنت أيضا سعيدة.»

«سأحاول أن أكون سعيدة فيه رغم شعوري بالحيرة، لم أكن أعلم أنك تعيش في قصر. هل به أبراج وبرزانات؟»

«القليل. فان الكثير من البناء الأصلي تهدم أثناء الثورة. وعندما عاد هنري ديجون الى فرنسا قرر ألا يتمسك بالطراز الذي كان سائدا في العهد القديم، وهكذا أعاد بناء الأجزاء التي سيعيش فيها على طراز عصري حديث.»

«كان رجلا دبلوماسيا. هل أنت مثله؟ وهل هو سبب التحاقك بالسلك الدبلوماسي؟»

«كلا. كان عليّ أن أفعل شيئاً، والقيام بمصالح العائلة عمل لم يكن يستهويني. في كل حال، تغير الآن كل ذلك. فقد تقرر أن أعود الى سانت دينيس لأتعلم كيف أدير الضيعة.»

قالت اليس لنفسها: ربما يجعل منه ذلك رجلاً أكثر صلابة وأكثر إحساسا بالمسؤولية. انه لطيف، ولكنه يتصرف بصورة أصغر من سنه. كانت اليس تود أن تسأله عن عائلته، ولكنها فضلت أن ترجىء ذلك حتى

www.liilas.com

تتعرف عليهم بنفسها. وعلى ذكر العائلة، تذكرت، وأسرعت باخراج العلبة البنفسجية من حقيبة يدها.

«أرجوك يا بول، لا تغضب مني، ولكنني لا أستطيع أن أقبل هذا منك. انها هدية رائعة، ولكنه أثمن من أن يقدم لي في مثل هذه المرحلة من علاقتنا. لو حدث وتوصلنا الى اتفاق، فسيكون من دواعي افتخاري أن أرتديه. أما والأمور على ما هي عليه الآن فانني أفضل أن تحتفظ انت به.»

«أليس، فتاتي الجميلة، انك الوحيدة التي يمكن ان تتصرف على هذا النحو. كثير من النساء كن سيقبلن هذا العقد على ما أعتقد.»

«لست مثل الكثير من النساء، ولكن قل لي هل انت معتاد تقديم مثل هذه الهدايا الثمينة لأية فتاة تقابلها؟»

«كلا، بالطبع. تلك هدية خاصة لك أنت بالذات. هذا العقد من الجواهر التي استطاع السيد هنري أن ينقذها، وهو يقدم دائما كهدية خطبة للابن الثاني.»

«كان حريا بك أن تخبرني عن القيمة المعنوية لهذا العقد. لو كان لي أدنى علم لما أخذته منك على الاطلاق.»

«تماما. وهذا هو السبب في أنني لم أخبرك. انني آسف يا حبيبتي. فقد كتبت الى والدتي، بمجرد أن عقدت العزم أن تصبحي زوجتي، لترسل لي العقد. ووصلني بعد أن أخبرتني أنك تحتاجين الى مزيد من

الوقت لتقرري. وكان من المستحيل علي أن أعيده مرة أخرى بدون بعض الايضاح.»

«عندما أذهب الى القصر أرجو اعتباري سكرتيرة ماغي لا أكثر. وأنا على ثقة من أنك لن تزيد الأمور تعقيدا أمامي.»

«تعقيدا! عندما تأتين الى القصر، يا فتاتي أليس، سوف تنشر ملايين الورود عطرها من أجلك. أقول لك مسبقا، انك سترغبين بألا تتركيه ابدا.»

www.liilas.com
عطاري

الفصل الثالث

بعد ثلاثة أسابيع مليئة بالحركة والمهام، وقفت أليس وماغي وقد أمسكت كل منهما بيد الأخرى وهما يضحكان في عصبية عندما بدأت طائرتهما التحليق فوق مطار لو بورجيه حيث كان بول ينتظرهما.

بعد انتهاء إجراءات مكتب جوازات السفر والجمارك، وقف بول لتحيتهما ومساعدتهما في حمل متاعهما الى سيارة الضيعة الحاجة اللون. قالت أليس وهي تتحسس في إعجاب هيكل السيارة اللامع:

«سيارة جديدة؟»

«أجل. ولكنني كنت أفضل سيارتي الأخرى، إلا أن هذه السيارة أكثر فائدة لعملي.»

حملقت فيه أليس بشيء من القلق. اذ اعتبرت ذلك مظهرا من مظاهر التبذير في شخصية بول التي لا تقرها. وكان معتادا على أن تخلو كل تصرفاته من أية امام ماغي. ولكن هذا أفضل لتتعرف على طبيعته بشكل أكثر توازنا.

توقفا في الطريق لتناول الغداء. أصبح بول أكثر ابتهاجا. ولاحظت أليس نظرات الاعجاب من بعض الرجال الذين كانوا يجاورونهم في المطعم.

ابتسمت ماغي وقالت:«أعتقد أن أخاك يستحق منا التحية. كان كرما منه أن يتيح لنا الاقامة بمنزله.»

أحست أليس بالقلق عندما لاحظت رد فعل بول لذكر أخيه. وتساءلت: ترى هل كان ذلك لأن أخاه أجبره على التخلي عن سيارته المفضلة واستبدالها بتلك السيارة الأكثر نفعا للضيعة؟

ان ماغي تحتاج لجو هادىء، تعمل فيه، وسيكون شيئا مثيرا للاحراج لو أن إقامتهما بالقصر تخللتها المشاكل العائلية.

سارت بهما السيارة تجاه سانت دينيس في طريق تحيط به الأشجار. قال بول:«سنكون هناك قبل موعد تناول الشاي. أود أجل، أننا نحافظ على العادات الانكليزية، على الرغم من أن جدتي لم تعد تقيم معنا. انها تفضل الجو في أنتيب.»

سألته أليس:«هل جدتك انكليزية؟»

«فعلا. انها إحدى تقاليد عائلة ديجون أن يتخذ أفرادها زوجات انكليزيات. انه تقليد آمل ان يستمر.»

قالت أليس لنفسها: اتمنى أن يعاملني مجرد سكرتيرة لماغي لا أكثر ولا أقل.

قال بول:«ان سانت دينيس تبعد حوالي كيلو مترين. سوف نصل الآن الى الوادي، من المتعذر رؤية القصر بسبب الغابات الكثيفة التي تحيط به. ولكننا سنتوقف عند الجسر لتتمكن من رؤيته.»

سارت بهما السيارة ببطء في دروب قرية سانت دينيس الجميلة، وكان بول يلوح بيده لكل العابرين

الذين يلتقون به. توقفت السيارة بالقرب من الجسر الحجري. وأشار لها بول تجاه القصر حيث وقعت عيناها على أبراجه التي تطل من فوق جذوع الأشجار الكثيفة.

ملأها شعور غريب بالاثارة. كان ذلك كله يشبه حكايات الأطفال الخيالية التي عرفتها. التفتت الى بول وقالت: «يا له من شيء لا يمت الى عالمنا بصلة. انني أتوق الى رؤيته.»

«من الافضل أن نذهب الآن. فان والدتي يصيبها القلق لو تأخرت ولو دقيقة عن الموعد الذي تعتقد أنني يجب أن أصل فيه.»

لاحظت اليس فيما كان بول يتحدث عن والدته، تلك النبرة العاطفية والابتسامة المشرقة وهما تدلان على حب وتقدير فائقين نحو أمه. كانت تشعر بقليل من التوتر إزاء مقابلة تلك السيدة الفرنسية. حتى ولو كانت هذه المقابلة على أساس العمل الرسمي، وليس بسبب علاقتها الدقيقة مع بول.

دخلت بهم السيارة الى فناء القصر وتوقفت أمام الباب الرئيسي للمبنى الفخم. لاحظت اليس أن فتاة ترتدي ملابس بيضاء، كانت تطل من شرفة القصر. كان يبدو أنها تراقب وصولهم عن عمد، ولكنها لم تقم بأي محاولة للتلويح لهم أو جذب اهتمامهم.

قال بول: «تقدمي يا عزيزتي. ان السيدة باريت تنتظر للترحيب بنا.»

«هل هي مديرة المنزل؟»

«انها أكثر من ذلك ايضاً. لقد أتت الى القصر عندما كان والدي طفلاً. وفي بعض الأوقات عندما كنا صغيرين أنا وأخي وكان أبي يعاقبنا على شيء سيء فعلناه، كانت تقدم لنا الحلوى وتحكي لنا عن بعض أفعاله السيئة وهو صغير مثلنا.»

قدمت السيدة باريت لهم التحية بحرارة وقالت ان السيدة والدته تنتظرهم في الصالون الصغير.

دخلوا ردهة واسعة يتوسطها درج هائل يقود الى ممرات طويلة في الطابق العلوي. حاولت اليس تستوعب قدر امكانها ما تقع عليه عيناها من دون أن تحملق في الأشياء بشكل يثير الانتباه. هتفت ماغي وهي تدقق بنظرها فيما حولها: هل هذه صورة زيتية للعائلة؟»

«البعض منها فقط اذ أن معظم الصور الثمينة وإرث العائلة محفوظ في معرض خاص في الطابق الأرضي. سوف أجعلك تشاهدينها غداً.»

قالت السيدة باريت: «ولكن السيدة ديزموند سوف تشاهد المعرض الليلة. فقد أصدر سيدي أوامره عندما وصل صباح اليوم بتشغيل جهاز التدفئة في المعرض قبل العشاء.»

قال بول بصوت غاضب: «هل أخي موجود هنا؟»

«بالتأكيد وهو أيضاً قد أحضر معه ضيفاً.»

فتحت السيدة باريت أحد الأبواب وأدخلتهم الى

غرفة فيها أثاث ضخم مفسق، وامرأة تجلس على مقعد ذي مسند عال الى جانب مدفأة مشتعلة. وقفت المرأة فور دخولهم.

تقدم بول وقبل يدي المرأة ثم وجنتها. كانت امرأة طويلة ورشيقة وجميلة. قام بول بمهمة التعارف، ولكن أليس لاحظت ان التجهم عاد الى وجهه من جديد، إلا أنها شعرت بالارتياح عندما قدمها لأمه على أنها مجرد سكرتيرة.

«طالما أن التعارف تم بين الجميع، فالأفضل لي أن أقوم أنا بتقديم نفسي.»

كان ذلك صوت فتاة تقف عند النافذة. كانت صغيرة الحجم وسمراء، ترتدي زيا بسيطا أبيض من دون أكمام، وتضع في أعلى عنقها مشبكا ذهبيا للصدر. كانت تلك هي الفتاة التي راقبت وصولهما من الشرفة.

قامت أليس بمقارنة سريعة بين تلك الفتاة الجميلة الأنيقة وبين ملابسها المغبرة من أثر الرحلة ووجهها الذي يحتاج الى تنظيف.

قال بول: «دومينيك! ماذا تفعلين هنا؟»

«لا يبدو عليك السرور برؤيتي يا عزيزي. لقد وجه اليّ أخوك الدعوة، وبالطبع لم أستطع الرفض وأنا أعلم أن في ضيافته أيضا السيدة ديزموند الروائية المشهورة.»

لم يكن في حديثهما شيء يوحي بالعداء، ولكن أليس

أحست على الفور أن دومينيك لم تسمع ابدا عن ماغي، وأنه لم يكن يضيرها في شيء لو أنها لم تقابلها على الاطلاق.

قام بول بعملية التعارف للقادمة الجديدة على أنها دومينيك فومون. وتساءلت أليس ان كانت هذه الفتاة التي قدمت باعتبارها ضيفة شقيقة سوف تصبح زوجته المستقبلية. فالفتاة تبدو مسيطرة على الموقف، ولم تضيع وقتا في أن تمد يدها الى بول قائلة بعد أن وجدت السيدة ديجون وماغي قد بدأتا في حديث جانبي:

«هيا يا عزيزي، لنذهب الى الشرفة لتخبرني بكل أنباء لندن، فان رسائلك لم تكن بها تفاصيل كافية.»

قال بول وهو يحاول ان يسحب يده من يدها

«أعتقد أن الشاي قادم. اسف لتأجيل حديثنا، وعلى أي حال فلست أعتقد يا دومينيك ان نشاطاتي في لندن تهمك كثيرا.»

«انك مخطىء يا عزيزي، صدقني انني أجد متعة في كل ما تفعله.»

لم ينقذ بول من الاجابة عليها سوى قدوم الشاي مع اثنين من الخدم وتحت إشراف السيدة باريت التي قالت لأليس:

«لا تقلقي يا صغيرتي، انه شاي على الطريقة الانكليزية، لقد أعددته كما علمتني السيدة الجدة.»

جلست أليس على الأريكة وفي يدها فنجان الشاي

الساخن وفي مواجهتها السيدة ديجون التي مالت عليها قائلة في طيبة خالصة: «انني أعلم يا آنستي انك لست مجرد سكرتيرة للسيدة، بل أنك أيضاً بمثابة ابنتها.»

«هو كذلك يا سيدتي.»

كانت تشعر بالتوتر وهي تدرك أن دومينيك، التي كانت تجلس بالقرب منها، تقوم بفحصها من قمة رأسها الى أخمص قدميها. قالت السيدة ديجون:

«يا لها من راحة لوالديك.»

وقالت موجهة حديثها الى ماغي: «ان ترك هؤلاء الفتيات الصغيرات لموطنهن للاقامة في المدينة يثير القلق حقيقة. فان ابنتي آن ماري واحدة منهن. انها تعمل في مجلة أزياء في باريس، وتقيم لحسن الحظ مع ابنة عمي التي أنفق فيها كثيرا في شقة واحدة، ومع ذلك فانني أشعر بالقلق عليها كثيرا.»

التقت عينا اليس بعيني دومينيك الفاحصتين، وشعرت بالضيق، وارتبكت قليلا. قال بول وكان واقفا بجوار النافذة، وهو يتقدم ليجلس الى جانبها: «بعد انتهاء الشاي سنذهب في جولة لتشاهدي الحدائق.»

قالت أمه: «أوه، بول، المسكينة! انها لم تر حتى الآن غرفة نومها، او حتى تأخذ قسطا من الراحة بعد عناء الرحلة، ما زال أمامك أسابيع لتعرض خلالها على الآنسة كل هذه الأشياء. فلا ترهقها في أول يوم لها معنا.»

ابتسمت اليس شاكرة، ولكنها لاحظت أنه عاد الى العبوس من جديد، وبدأ يتبخر بعض ما تحس به من سعادة.

انها لم تر بول من قبل متقلباً على هذا النحو، من الواضح انه يشعر بالضيق لاكتشافه أن أخاه قد وصل قبله، ولكن، له كل الحق في الحضور الى منزله متى شاء.

وبدأت تتساءل: ترى كيف يبدو، ولكنها لم تسأل بول، ودومينيك أين موقعها من هذه الصورة؟ أدركت اليس أنها مخطئة عندما ظنت أنها زوجة المستقبل لرالف.

ان تصرفاتها مع بول تؤكد غير ذلك، كما لم تظهر في حديث السيدة ديجون أية إشارة الى أن دومينيك ستكون سيدة هذا القصر.

شعرت اليس بالتعاسة لأنها لم تضع الأمور مع بول في نصابها قبل أن تغادر انكلترا. لم تكن تعرف ماذا كان شعورها تجاه دومينيك هو الغيرة أم لا. ولكن الأمر يفوق طاقة البشر لو أنها لا تشعر بالضيق إزاء تصرفات الفتاة الواثقة تجاه بول، فالمؤكد أن الفتاة لم تكن تظهر هذا النوع من التملك إزاءه، لو لم يكن هناك تشجيع من جانبه.

انتهى وقت تناول الشاي، ودقت السيدة ديجون الجرس لتنادي على السيدة باريت حتى تدل اليس وماغي الى غرفتيهما.

www.rilas.com

شعرت أليس براحة جسدية عندما أغلق الباب بينها وبين دومينيك، تبعت السيدة باريت عبر الردهة وصعودا على الدرج، وصلت الى ممر آخر ووقفت أمام أحد الأبواب في منتصفه.

فقالت السيدة باريت:ها هي غرفتك سيدة ديزموند. والفتاة التي ستقوم على خدمتك اسمها ماتيلدا، وقد قامت بعملية افراغ الحقائب. أما غرفة الآنسة فيرفاكس فهي الملاصقة لغرفتك ويفصل الحمام بينهما. أمل أن يكون هناك كل ما تحتاجان اليه، ولكن أرجو أن تدقا لي الجرس لو كنتما بحاجة لأي شيء.

لم تستطع أليس مقاومة صرخة إعجاب بدرت منها وهي ترى غرفتها، انها غرفة غاية في الأناقة. عندما أصبحت بمفردها، سارت نحو النافذة، ونظرت الى أسفل لتطل على حديقة صغيرة.

وقفت بدون حراك تستمتع بدفء الشمس، ثم سارعت بتغيير ملابسها وتوجهت نحو الحمام الأنيق. أحست بالانتعاش تماما بعد الحمام المعطر، وهكذا تخلت عن فكرة أخذ قسط من الراحة قبل العشاء وقررت أن تقوم بدلا من ذلك بالبحث عن تلك الحديقة الصغيرة التي رأتها من نافذة غرفتها. وودت لو أنها لم تصادف بول في طريقها، بعد أن ادعت التعب من قبل.

كانت تظن أنها ستتذكر طريقها الى أسفل الدرج،

ولكنها أدركت عندما وصلت الى الطابق الأرضي أنها سارت في طريق خطأ، وأنها أصبحت الآن في جزء من القصر يبعد تماما عن جناح النوم. كانت تسمع أصواتا من بعد، ورائحة الطعام تصل اليها. لا بد أنها ضلت طريقها وأصبحت الآن في المنطقة التي يقع فيها المطبخ.

سارت في ممر ضيق رصف بالحجارة لتجد نفسها وسط فناء أقيمت به غرفة خشبية في داخلها خيول، فنسيت تماما كل شيء عن الحديقة الصغيرة، لأنها كانت معتادة ركوب الخيل وهي طفلة، وما زالت تمارس هذه الرياضة بين الحين والآخر. بدأت تتجول حول الاسطبل وتقرأ اللافتات التي وضعت بأسماء الخيول أمام كل غرفة.

توقفت أمام احد الخيول وكان اسمه ميسترال وربتت على رقبته في رفق وقالت:ليس معي شيء أقدمه لك يا صغيري، في المرة القادمة سوف أحضر شيئا، قطعة من السكر أو الجزر.»

أحدثت الخيول في الغرف المجاورة بعض الضوضاء لاحساسها بوجود شخص غريب، وهكذا أخفت هذه الضوضاء، صوت وقع أقدام آتية على الممر المغطى بالحصى، ولكنها مع ذلك لم تخف صوتا يهتف برفق.

كان صوتا لم تكن أليس تتوقع أو ترغب ابدا في سماعه طوال حياتها.

استدارت بشدة الى الخلف لاهثة لتجد نفسها وجهاً لوجه مع رالف دينيس، وهو يقف على بعد خطوات قليلة منها، يعلو وجهه نوع من الصرامة تصل الى حد الغضب.

الفصل الرابع

بادر رالف بكسر الصمت الذي بدا ممتداً الى ما لا نهاية بينهما «هكذا، يا انسة، كانت لديك الجرأة الحقيقية بالحضور الى هذا المنزل؟»

قالت أليس بعد أن استردت رباطة جأشها بانتهاء الصدمة الأولى لرؤيته، وتحولت الى غضب متصاعد «انها جرأة منك أنت سيدي. انتي هنا بدعوة من السيد ديجون نفسه.»

«حقا؟ وهل أتيحت لك الفرصة لمقابلة مضيفك؟»

كانت هناك نبرة ساخرة في كلمته الأخيرة، وأدركت أليس بغضب انه لم يقصدها. بذلت جهداً للسيطرة على نفسها وقالت «لم أقابله بعد. في الواقع، لقد علمت أن وجودي هنا ليس متوقعاً.»

«هو ذلك بالنسبة إليك على وجه الخصوص.»

كلا، وبصراحة سيدي، لقد بدأت اشعر بالندم على رؤيتي لهذا المنزل وكل سكانه.»

«اذن يمكن علاج هذا الموقف، سوف أعد لك على الفور سيارة لاعادتك الى باريس. ولا شك انك قادرة على العودة من هناك الى لندن بدون مزيد من المساعدة.»

«كيف تجرؤ على هذا القول! ليس لك أدنى حق في التصرف على هذا النحو.»

www.liilas.com

«ان لي كل الحق. فما دمت قد وجهت اليك الدعوة لزيارة هذا البيت، كما تزعمين، فانني بالتأكيد لي الحق في سحب هذه الدعوة.»

«أنت وجهت اليّ الدعوة؟ هل تحاول أن تقول انك، انك...»

وتوقفت عن الكلام، وهي لا تريد ان تصدق تلك الحقيقة المخيفة التي تضمنتها كلماته.

«تماما، يا آنسة، يبدو أنك أدركت في النهاية. انني مضيفك رالف دي سانت دينيس.»

شعرت اليس بأنها مريضة. كم هي عمياء وصماء! لا تعرف هذه الحقيقة، ذلك الشبه بشخص ما الذي لاحظته هي وجيني! لماذا لم تدرك أن ذلك الغريب كان يشبه بول؟

قالت وهي تقاوم مشاعرها التي توشك أن تغرقها في موجة من الدموع والمهانة: «لقد فهمت الآن. هل لي أن أسأل عن السبب في إخفاء شخصيتك في لندن؟»

«اعتقد أن الاجابة على ذلك واضحة.»

«ليست واضحة لي.»

«حقا؟ اذن سوف أوضحها لك. علمت ان أخي الأحمق الصغير مفتون بامرأة شابة لا يعرف عنها الكثير، وتبع ذلك على الفور ظهور صور في الصحف وأحاديث بالقيل والقال، لم تشبع فضولي تماما. واعتقدت انك، فتاة سهلة. وتأكد لي يا آنسة أنك

بالفعل فتاة تنتمين الى المجتمع المتحضر في لندن، وعلى أقل تقدير، فانك على استعداد لمصاحبة أي رجل لديه المال الكافي للانفاق على رغباتك. انتظري من فضلك.»

رفع يده ليوقف محاولة اليس مقاطعته بحدة:

«كنت في ذلك الوقت على استعداد أن أدع علاقتكما تأخذ مجراها الطبيعي. لقد كنا جميعا شبانا قمنا بأشياء حمقاء، ولكن بدا لي أنك تطمعين في شيء أكثر من المعتاد. لا أقل من الزواج! وهذا ما لم أكن لاسمح به. اعتقد انه قد آن الأوان لأن يتخلى بول عن لهوه في السلك الدبلوماسي أيضا، وأن يشرع في القيام بعمل جاد لأول مرة في حياته هنا في الضيعة.»

كان قلب اليس يخفق بعنف بين ضلوعها، بل سينفطر من قسوة الثورة التي تجتاح بها داخلها. وأخيرا قالت في صعوبة:

«لقد فهمت. ولكن ألم يكن يكفيك أن تضع الترتيبات لابعاد بول عن تأثيرك الشرير؟ هل كان من الضروري أن تخدعني على تلك الصورة البغيضة، وأن تهينني؟»

«يجب أن أعترف لك أنها كانت نوعاً من الفضول، والواقع أنني لم أضع خطة مسبقة لتلك الليلة، كما ان بول لم يكن يعتزم على الاطلاق أن أقوم أنا بتسليم رسالته لك. لقد حصلت عليها حتى أتمكن

من الحكم عليك بنفسي. ولكن ما حدث أملته على الفور رؤيتي لك تضعين العقد.»

«العقد؟»

«أجل يا آنسة. تلك القطعة من المجوهرات التي أهداها لعائلتنا لويس الرابع، والذي جرت التقاليد على إهدائها لعروس ابنه الثاني عند خطبتهما. وقد سمحت لنفسك بارتدائه لقضاء ليلة مع رجل غريب تماما.»

كان يتحدث برفق، ولكن لم يكن هناك ثمة شك في نبرة الغضب في صوته. ولكن أليس أعطته كل العذر هذه المرة في هذا الغضب.

قالت بصوت متهدج:

«انني آسفة. لم تكن لدَيّ أي فكرة عما يعنيه هذا العقد، أو حتى ان كان ثمينا. ولكنني أعتقد أنك لن تصدقني عندما أقول لك انني أعدته في اليوم التالي على الفور، وأبلغت بول انه لا يحق له أن يعطيني اياه من بدون ان يعطيني فكرة عن مغزاه.»

«لم يكن لبول الحق منذ البداية في أن يسحبه من مجوهرات العائلة بدون اذن مني.»

«ربما كان الأمر كذلك. ولكن ذلك شيء بينك وبين أخيك، ولست ألام على ذلك.»

«لو كان لديك ادراك سليم ولم تغادري لندن، وتقبلت فكرة انفصالك عن بول، لما كانت هناك حاجة بنا لاثارة هذه المسألة من جديد. والآن لنعد مرة أخرى

الى تلك الليلة. لقد كان السبيل الوحيد أمامي لمنع ارتباطك ببول هو اقناعه بأني نوع من النساء أنت. فلم أكن لأسمح له أن يدمر حياته.»

ولأول مرة تهدج صوته قليلا وهو يقول «منذما حدث لحياة البعض.»

نظرت اليه أليس في حيرة. لقد تبدل شعور الغضب تجاهها الى نوع من المشاعر. وهي المرة الأولى التي تشعر فيها بأن المرارة التي يتحدث بها لم تكن موجهة اليها. استأنف حديثه:

«ان بول بيسنتا، مني في الوقع الراهن لأنني انتزعته من حياة اللهو التي كان يعيشها. ولو أنني أريته العقد وأبلغته بأنه دليل على عدم إخلاصك له، وخيانتك له مع أخيه، لكان ذلك نهاية لمشاعره تجاهك على ما اعتقد.»

«يا لك من ماكر.»

«من الأفضل ألا نوجه الى بعضنا البعض الفاظاً جارحة. اسمحي لي أن اصطحبك الى القصر حتى يتسنى لك حزم حقائبك.»

قبل ان ترفع صوتها في محاولة للاحتجاج ، هتف بهما صوت السيدة ديجون الرنان:

«ايه يا أبنائي، أرى أنكما قد تقابلتما. رائع. لماذا لم تنضم الينا في تناول الشاي لتقابل ضيوفنا.»

«كنت مشغولاً. هل وصلت السيدة ديزموند في سلام؟»

«بالطبع، انها سيدة جذابة للغاية. وأنت يا صغيرتي هل تكتبين أيضا القصص؟»

قالت اليس وهي تحاول أن يخرج صوتها طبيعياً:

«كنت أقوم بكتابة قصص الأطفال لأصدقائي، عندما كنت صغيرة. ولكنني لم أجرؤ على نشر أي منها. لقد اكتفيت بالعمل كمساعدة للماغي.»

كانت هناك لحظة صمت قصيرة، ثم اندفعت اليس في الحديث مرة أخرى في محاولة ألا تثير قلق السيدة ديجون بذلك المشهد الذي دار منذ قليل بينها وبين رالف. فقد تذكرت أن بول أبلغها أن صحة والدته ليست على ما يرام:

«أمل يا سيدتي ألا يضايقك تجولي. فلم أكن أقصد أن أجد الاصطبلات، بل كنت في الواقع أبحث عن تلك الحديقة الصغيرة التي تطل عليها نافذة غرفة نومي.»

«أه لك أنتم الأنكليز وولعكم بالحدائق! ان هذه الحديقة من إنشاء جدة رالف، وتقوم أن ماري برعايتها بين حين وآخر.»

توقفت ثم نظرت الى اليس بقلق:

«هل أنت متأكدة يا صغيرتي ان الرحلة لم تكن متعبة؟ انها تبدو شاحبة اليس كذلك يا رالف؟»

«قليلا.»

الغريب أن اليس وجدت أنه من الصعب عليها أن تتحمل منه هذه اللامبالاة، مثلما تحملت غضبه

واحتقاره. كانت تريد أن تهرب، أن تعود الى غرفتها لتكون وحيدة مع دموعها التي توشك أن تنهمر.

نظرت اليها السيدة ديجون بقلق وقالت:

«لا بد أن ذلك من تأثير الرحلة الطويلة والجو الحار. رالف، يا عزيزي رافق الآنسة فيرفاكس الى المنزل.»

سارعت اليس بالقول:

«أوه،كلا. أعني شكراً جزيلاً. انني على ما يرام حقيقة. كل ما هنالك انني في حاجة الى راحة قصيرة.»

رسمت بصعوبة ابتسامة على شفتيها المرتعشتين، واستدارت عائدة وهي تركض من الطريق الذي أتت منه.

عندما هدأت عاصفة الدموع التي تركت لها العنان في غرفتها، أحست كأنها بالصفاء. نعم كان هناك غضب، ولكن ليس ثورة. وأخذت تمعن التفكير في هدوء.

لو أنها فعلت مثلما يريد رالف، وحزمت حقائبها وعادت الى لندن، فان الأمر يحتاج على الأقل الى تفسيرا بالنسبة للماغي، وبول أيضا. يجب أن يعرف جزءا من الحقيقة، على الأقل. كما أدركت أنه لن تكون هناك فرصة لحجب الحقيقة عن السيدة ديجون، علما بأن رد فعل بول سيكون حادا. لو أنها واجهت الحقيقة منذ البداية، لتجنبت معظم

هذا العناء، ولكنها استسلمت لاعجاب بول، ولم تعترف لنفسها بأنها لا تحبه بالدرجة التي تجعلها تتزوجه.

ولكن ما الذي جعلها تكتشف هذه الحقيقة بمثل هذا الوضوح فجأة؟ كانت منذ أسبوع واحد فقط غير قادرة على تحديد مشاعرها تجاه بول. في وقت كانت تظن فيه جيني أنهما يمثلان زوجا مثاليا، ولكن يجب عليها ألا تظلم نفسها، فانها لم تعط بول إحساسا بالموافقة، بل جعلته يشعر بذلك القلق الذي يساورها لرغبتها في ان تفعل الشيء الصواب، وألا ترتكب خطأ يدمر حياتهما. كانت أليس تؤمن بالزواج، الزواج لمدى الحياة، وليس مجرد الزواج لسنوات قليلة.

كلا لا يمكنها أن تسافر هكذا ببساطة، ولكن من الناحية الأخرى كيف تستطيع البقاء؟ رالف ديجون أساء الحكم عليها، لقد أعطته هي سببا لذلك. عندما تذكر رد فعلها إزاء محاولته المتعمدة معها تنبعث في نفسها القشعريرة. وسيكون من الصعب الآن اقناعه بانها ليست ذلك النوع من النساء الباحثات عن الذهب كما يعتقد. ولكن ما الذي يدعوها أن تكون حريصة على اقناعه بعد ذلك؟

ومهما كان ظنه فيها، فليس من حقه أن يعاملها على هذا النحو. انه غرور الرجل فيه! كان يظن أنه سوف تستسلم له بدون مقاومة،ولكن خدعته الدنيئة وعدم

التعريف بنفسه على حقيقتها كان السبب في كل ما حدث.

مهما يكن من أمر فانها لن تطرد هكذا الى لندن في لحظة. وفي كل حال، فهو لن يرضى أن تعرف والدته تلك الأفعال التي يقوم بها في الخفاء.

قالت لنفسها: سوف أتحدث مع بول في أسرع وقت ممكن وأبلغه أن كل شيء بيننا قد انتهى.

ومع ذلك قررت أن تحذر بول من إبلاغ أخيه أي شيء، لكن عليها ان تنتظر الى أن تنتهي ماغي من عملها. ثم تبلغه هي في النهاية أن شرف عائلته الغالي سيظل محفوظا.

بعد أن أزالت أليس كل أثار الدموع عن عينيها، حاولت بعناية فائقة أن تبدو على أحسن صورة على العشاء تلك الليلة، وقررت أن ترتدي الثوب المفضل لديها، الثوب الصوفي الأحمر الغامق المنسدل الى الأرض. عقصت شعرها الى الخلف وخففت من حدة مظهر وجهها بوضع قرطين فضيين في أذنيها.

بعد ان أطمأنت على مظهرها، توجهت الى غرفة ماغي، وطرقت الباب، ردت ماغي مبتهجة:

«ادخلي، لقدتفوقت على نفسك الليلة يا صغيرتي. هل ستدخلين في منافسة مع الآنسة فومون الجميلة؟»

«لقد نسيت كل شيء عنها!»

«وأنا أؤكد لك أنك لم تفارقي أفكارها منذ أن تركنا لها الغرفة لتنفث فيها دخان سجائرها التي تسمم

الجو. والآن انني مستعدة هيا بنا الى عرين الاسود. ولكن ما الذي يدعوني الى قول ذلك. فان السيدة ديجون طيبة المعشر. وانني اتوق لمقابلة هذا الشقيق الغامض، أيا كان اسمه. ألم يذكر بول اسمه أمامك؟»

«رالف. لقد تقابلنا صدفة في اسطبل الخيول.»

«ان شيئا يقول لي انه كان لقاء مشهودا. لا تخبريني بشيء الآن حتى لا تفسدي شهيتي للعشاء.»

عندما دخلا الى غرفة الاستقبال الصغيرة، لم يكن هناك أحد سوى طفلة صغيرة ذات شعر أسود، نهضت لتحيتهما.

«مساء الخير يا سيدتي، مساء الخير يا آنستي.»

كانت تتصرف بصورة أكبر مما يناسب فتاة صغيرة لا تتجاوز السابعة أو الثامنة من عمرها. والغريب أن هذا التصرف كان يليق بها تماما. جلست ماغي تتحدث مع الطفلة وعلمت أنها تدعى هايدي تساءلت اليس: ترى ما هو وضع الطفلة في هذه العائلة؟ ان السيدة ديجون لم تذكر سوى ابنة واحدة لها. كما أن عمرها لا يتفق بأن تكون لها طفلة في هذه السن. بالاضافة الى أنها على ثقة من ان بول قال لها ان والده توفي منذ عشر سنوات على الأقل.

في تلك اللحظة فتح باب الصالون ودخلت دومينيك في ثوب أنيق، أظهرت هايدي إعجابها به على الفور وقالت بخجل: «ان ثوبك جميل يا دومينيك.»

«لن يصبح كذلك لوقت طويل، طالما أفسدته لمسات أصابعك.»

احمر وجه الفتاة، وسادت فترة من الصمت في أعقاب ذلك. قطعتها دومينيك بالسير عبر الغرفة في استعراض واضح لرشاقتها. ولاحظت اليس أن هايدي ظلت محدقة في أرضية الغرفة وهي تعض شفتيها. لم ينه ذلك الموقف البائس سوى دخول بول والسيدة ديجون ضاحكة، وهي تمد يديها للطفلة:

«تعالي يا صغيرتي.»

اسرعت اليها الطفلة في شوق وقبلتها. ويبدو أن السيدة ديجون اعتقدت أن دومينيك قامت بمهمة تقديم الطفلة لهما، لأنها لم تفعل ذلك. ووجهت سؤالا للطفلة عن مربيتها. فقالت انها تشعر بصداع وانها سوف تطلب من والدها أن يصطحبها في جولة.

أدركت اليس بوضوح أن بول، الذي كان مشغولا بإعداد الشراب، ليس هو والد الطفلة. ترى من يكون اذن؟ وجاءها الرد كأنه نوع من الالهام. ان رالف ديجون وهو والد هايدي. ولكن، لو كان الأمر كذلك، فأين هي زوجته؟ ولماذا لا تقوم هي بمهام سيدة القصر بدلا من والدته؟

لم تدر لماذا شعرت بالاضطراب لاكتشاف حقيقة أن رالف ديجون زوج وأب. قالت لنفسها: لا بدّ أنه ترك زوجته في باريس، وان كان الأمر كذلك، فلماذا لا تكون الطفلة مع أمها؟

www.liilas.com

أفاقت أليس من أفكارها على صوت هايدي تهتف بابا! لتدرك أن رالف دخل الغرفة بقامته الفارهة وهو يرتدي بدلة مساء أنيقة، وأسرعت الطفلة اليه، ولكنه لم يقبلها، واكتفى بأن يربت على وجنتيها ويأمرها بأن تذهب الى مقعدها.

تظاهرت أليس بالانشغال في البحث عن منديل في جيبها عندما كان يجري تقديم رالف لماغي، كانت تخشى تلك اللحظة التي ستضطر فيها للحديث معه مرة أخرى.قال رالف في بساطة لا تنطوي على أية معان مزدوجة أو نبرة سخرية

«مساء الخير يا آنسة فيرفاكس، أعتقد أنك قد ارتحت الآن من عناء السفر.»

تقدم بول يحمل كوب العصير وجلس الى جانبها قائلا بهمس«وهكذا. تقابلت مع أخي العزيز. لا تخدعك مظاهر الغرور التي يبديها، انه يستطيع أن يكون رقيقا في بعض الأحيان. والآن يا أليس دعيني أبلغ أمي بعلاقتنا. إنها معجبة بك للغاية، وأعلم أن ذلك سيسعدها كثيرا.»

أمسك بول بيدها، ولكنها جذبتها بحدة من قبضته. أدركت أن رالف ديجون الذي كان يقف بعيدا بجوار المدفأة، لاحظ تلك الحركة السريعة. تمتمت بتوتر:

«بول، أرجوك، ليس الآن. انني لا أستطيع التحدث معك في هذا الموضوع هنا، فلنرجىء ذلك الى الغد.»

«كما تشائين يا عزيزتي. ولكن ماذا حدث يا أليس؟ انك تبدين مضطربة للغاية قولي لي.»

«كلا، لم يحدث شيء. فقط اعتقد أنني في حاجة الى هواء نقي. هل يمكنني الخروج الى الشرفة قليلا؟»

«بالطبع. هل اصطحبك؟»

«كلا يا بول. أفضل أن أكون بمفردي للحظة.»

قادها بول الى الشرفة، وهو يقوم بمحاولة اخرى لاصطحابها لكن دومينيك أوقفت تلك المحاولة بطلب كوب عصير من بول.

بدأت أليس تشعر بالهدوء والسلام. وهي تنظر الى رذاذ الماء المتساقط من النافورة في وسط الفناء. وفجأة شعرت بتوتر أعصابها عندما أدركت أنها لم تعد بمفردها.

«لقد تركت شرابك» جاء صوته لا ينم عن شيء«وكأن تلك المواجهة التي حدثت في الاسطبل كانت بين اثنين من كوكب آخر. في اضطراب أخذت منه الكوب الذي قدمه لها . ولكنه لم يقفل عائدا الى غرفة الاستقبال كما توقعت، بل انحنى على افريز الشرفة بجانبها. شعرت بالحرج لوقوفها معه. وقال بعد فترة صمت:

«ان أشياء كثيرة تتغير على مدى يوم، وليلة. أليس كذلك؟»

أدركت أليس أنه عاد من جديد الى الحديث بكلام ذي معان خفية، وهكذا قررت مواجهته.

«عفوا يا سيدي. لقد سئمت لعبة الهر والفأر تلك

www.liilas.com

التي تقوم بها. رغم ما دار بيننا اليوم، ليس في نيتي أن أترك باغي، والعودة الى لندن. لأنني على ثقة من أن تصرفنا على هذا النحو سيتطلب من كلينا عملية طويلة ومحرجة من التفسيرات. سوف أبذل ما في وسعي لأنشغل طوال الوقت في عملي، كما أنني أعتقد أنك ستعود الى عملك في باريس. وهكذا فلن أفرض وجودي عليك بقدر ما أستطيع. ولكن...»

أوقفتها ضحكته عن الكلام. انها في حيرة تامة. كيف يتسنى لها التعامل مع شخص يغير مواقفه بالسرعة نفسها التي يغير بها ملابسه؟ قال بعد برهة بصوت أكد لها شكوكها في غرابة موقفه: «سامحيني، ولكن مجرد التفكير في أنك يا آنسة فيرفاكس لن تفرضي وجودك أمر لا يمكن تقبله بسهولة. فالحقيقة أن جاذبيتك، يا جميلتي ليس لها إلا ان تفرض نفسها. وانني لا أشك في أنك تدركين ذلك. لقد فات الآن وقت انسحابك خلف دائرة الضوء.»

«على ضوء الظروف الراهنة، فان إطراءك لي يا سيدي، لا يزيدني إلا مهانة.»

ساد الصمت من جديد. لم يبد عليه أنه يرغب الآن بشن هجوم جديد عليها. ولكن صمته زادها توترا. ان هناك تناقضا في تصرفاته. كانت طوال الوقت منذ بداية تعارفهما تقف موقف الدفاع. وهي لن تسمح لذلك ان يتكرر. وهكذا فان هروبها الآن سيكون بمثابة هزيمة لها.

سألها فجأة: «منذ متى تعملين عند السيدة ديزموند؟»

كادت اليس أن تثور فيه قائلة ألا يتدخل في شؤون غيره، ولكنها سيطرت على نفسها، وقالت وهي تتعمد أن تخرج صوتها قدر الامكان بدون تعبير حتى لا يتمادى في أسئلته:

«انني أعمل سكرتيرة عندها منذ أن جئت للاقامة في لندن قبل عامين.»

«وهل تعلم هي كيف تقضين وقت فراغك؟»

«أنها تعلم أنني أقضي وقت فراغي في القراءة، والذهاب الى المسرح والسينما وتنظيف شعري. هل هذا هو ما تعنيه بسؤالك؟»

«أنت تعلمين تماما ما الذي أعنيه. فانني اسأل عما اذا كانت تعرف شيئا عن نشاطك الاجتماعي، أو أنك تخرجين مع رجال لا تعرفين عنهم شيئا، ربما من أجل المال فقط!»

«أي حق يخول لك ان تكون حاكما على تصرفاتي. وكيف تجرؤ على الظن أنني أحتاج للمال، وعن مثل هذا الطريق القذر؟ ولتعلم ان ماغي تدفع لي مرتبا عاليا، كما ان لي والدين يمكن أن ألجأ اليهما لو أنني احتجت الى المال. انني بالتأكيد لست في حاجة الى أن أدع رجالا غرباء يدفعون لي ثمن العشاء، حتى يكون لهم حق شرائي في المقابل. لقد أصبت جبيني بالهلع عندما أبلغتها بما حدث تلك الليلة.»

« وهل أخبرتها بذلك؟»

«بالطبع أخبرتها. ماذا كنت تتوقع اذن؟»

«انك بالطبع لا تظنين انني شرس؟»

«لست وحدك الذي يظن أشياء في الناس يا سيدي.»

شعرت بشيء من البرودة في جو الشرفة، وبدا ذلك في رعشة خفيفة ألمت بها.

«ان الجو بدأ يبرد، أعتقد أنني سأذهب الى الداخل.»

قال بهدوء، وهو يمسك بذراعها: «لحظة واحدة من فضلك. ما زال أمامنا وقت الى ان يحين العشاء. وهناك شيء هام أود أن أسأل عنه.»

قالت في محاولة للسيطرة على أعصابها:

كان يقف بالقرب منها، الى الحد الذي كانت تشعر فيه بدفء جسمه وبرائحة العطر الذي يستخدمه.

«طالما انك تتحدثين هكذا بصراحة، فانني أريد الحقيقة. هل انت مخطوبة الى أخي؟»

كادت اليس تبادره بقولها نعم في تحد، ولكن ارتعاش شفتيها منعها من نطق الكلمة. حثها على الكلام بنبرة وضح فيها الاهتمام: «انني منتظر ردك يا آنسة. يجب ان أعرف.»

وقفت تحملق فيه، في محاولة غير مجدية لمعرفة التعبير الذي بدا على وجهه. كان قلبها يخفق بسرعة، وشعرت فجأة انها سئمت لعبة التحدي معه.

«انني لست مخطوبة لبول، ولم أكن مخطوبة له على الاطلاق.»

وقفا وقد لفهما الصمت. كانت ترغب في الفرار من قامته الطويلة التي وقفت أمامها كأنه صقر مستعد للهجوم، ولكنها كانت حبيسة بين جسمه وبين أفريز الشرفة.

ببطء، لانت قبضته على ذراعها، وبدأت أصابعه تتحسس كتفها ثم عنقها برفق، وقال هامسا: «هل تخبينه؟»

وقبل أن تتمكن من الرد، عليه هتف بهما صوت هايدي من الداخل: «بابا، آنسة، العشاء جاهز.»

«حالا يا صغيرتي.»

«يجب أن أدخل.»

قال ممسكا بذراعها من جديد: «انتظري، انك لم تجيبي على سؤالي.»

انتزعت اليس نفسها من قبضته قائلة:

«ليس في نيتي الرد على هذا السؤال. وأؤكد لك من جديد انه ليست هناك خطبة. أما مشاعري فهي شيء يخصني وحدي. والآن، اسمح لي... من فضلك، فانني أريد أن أذهب للعشاء.»

قال بصوت ساخر وهو يفسح لها الطريق الى غرفة الاستقبال: «بالطبع. أتمنى لك شهية طيبة يا جميلتي.»

سار الجميع نحو غرفة الطعام، وسار بول الى

www.liilas.com

جانبها وقد اشتد فضوله لمعرفة الحديث الذي كان يدور بينها وبين شقيقه، لكن من حسن حظها انها جلست الى جانب هايدي، فهي لن تتحمل اسئلته.

عند انتهاء العشاء، قال رالف:

«طلبت أن تقدم لنا القهوة في قاعة العرض، أرجو ألا تكوني متعبة يا سيدة ماغي، وأن تلقي نظرة على كنوزنا هذه الليلة.»

ردت ماغي:«كلا، على الاطلاق. انني أتطلع الى رؤيتها.»

ارتبكت أليس،لأنها كانت تنوي الاعتذار لتنسحب الى غرفتها، ولكنها الآن تعلم أن ماغي تتوقع منها ان تصطحبهم الى قاعة العرض.

كانت جدران قاعة العرض مطلية باللون الأبيض، وكل صورة زيتية مضاءة بمصباح خاص بها. نظرت أليس باهتمام خاص الى صورة الجد هنري، الذي عاش في انكلترا حيث وجد الأمان، وعاد من هناك بزوجة انكليزية.

كان هناك تشابه واضح بين أبناء العائلة، خصوصاً الأنف الدقيق الشامخ الى أعلى، والذقن العريض. لو أن ذلك المعطف ذا الياقة العالية، ورباط العنق الذي يرتديهما في الصورة، استبدلا ببدلة مع ربطة عنق سوداء، لاعتقدت أن الواقف في الصورة الزيتية هو رالف نفسه.

جاءها من الخلف صوت رالف وقد بدا سعيداً:

«لقد كان زواجاً قائماً على حب كبير. كان كل منهما متفانياً في الآخر.»

كانت صناديق العرض الزجاجية والعلب تحيط بقاعة العرض بين الصور. وبداخل هذه الصناديق تعرض التحف والقطع الاثرية الثمينة. وفي وسط الغرفة طاولة دائرية كبيرة وضعت عليها بعض العلب المخملية الكبيرة، وقد أثار ذلك في أليس شيئاً من الاضطراب عندما وضعت القهوة على الطاولة.

في تلك اللحظة، دخل بول، الذي كان قد اختفى لبضع دقائق، وهو يحمل شمعدانين كبيرين من الفضة. وضعهما على الطاولة وأشعل شموعهما. أطفئت أنوار القاعة وهم يتجمعون حول الطاولة.

قال رالف مبتسماً:

«عذراً، ولكن أضواء الشموع تناسب كثيراً هذه العلب.» التقط أكبر علبة من مجموعة العلب المخملية وفتحها. انعكست أضواء الشموع على الفور الى بريق يخطف الأبصار منبعث من أحجار الماس والزمرد في واحد من أكثر العقود التي شاهدتها أليس بهاء. التقطته السيدة ديجون في حب ووضعته للحظة حول فتحة العنق لرداء السهرة الذي كانت ترتديه حتى يعطي التأثير المطلوب وقالت:«انه عقد ديجون. لقد ارتديته يوم زفافي، وفي بعض المناسبات الخاصة للأسف. انه أثمن من أن أرتديه كثيراً.»

نظرت أليس الى أسفل ووجدت أنها تقبض على

www.liilas.com

الطاولة بشدة تؤلمها. تركت اليس الطاولة وتراجعت الى الخلف حتى تخفي مشاعرها، ولكن لم تستطع اخفاء تلك الحركة عن رالف الذي بادلها نظرة في لحظة بدت ممتدة الى الأبد، بدا الأمر وكأنهما لا يشعران بوجود أحد سواهما. لا فائدة الآن من انكار ما تقوله لها مشاعرها المشتعلة، محال أن تنسى، أو تقنع نفسها، بأنها نسيت تلك اللحظات القصيرة التي تقارب فيها جسداهما، ذات ليلة في لندن، مهما كان الدافع من ورائها. انها تعلم جيداً الآن انه لو مد اليها ذراعيه، لتبعته بدون وعي منها.

قالت السيدة ديجون«والعقد هذا، انه يقدم دائما لعروس الابن الثاني. هو قطعة غالية الثمن، وان كانت ليست بقيمة العقد نفسه.»

نظرت اليس الى قطعة المجوهرات الثمينة. بالطبع لقد أعاده بول الى مكانه. انها لم تتوقع على الاطلاق أن تراه مرة أخرى.

والأسوأ من ذلك أن بول نظر اليها نظرة ذات مغزى وهو يبتسم.

لم تتوقع اليس أن تنام تلك الليلة، ولكن تغلّب الارهاق الجسدي على ما كانت تشعر به من قلق نفسي. استيقظت لتجد غرفتها غارقة في أشعة الشمس الوردية. تناولت أفطارها بسرعة وارتدت ثيابها. وخرجت تبحث عن ماغي فوجدتها في غرفتها جالسة الى جانب النافذة، وهي منشغلة بقراءة كتاب مغلف

بالجلد. رفعت ماغي رأسها قائلة«انها المذكرات الشهيرة.»

«هل أثارت اهتمامك كما كنت تأملين؟»

«أكثر مما تتصورين، رغم أن قراءتها وترجمتها تستغرقان وقتا طويلا.»

«هل أنجزت عمل الليلة الماضية؟»

«ليسكتيرا لقد وضعته هناك على الطاولة في مغلف أصفر.»

كان الاتفاق قد تم في الليلة الماضية على ان تستخدم ماغي غرفة مكتب رالف في عملها وتم وضع جميع أدواتها هناك.

كانت اليس تشعر براحة لأن صاحب الغرفة ليس له أثر في أي مكان. ومن جديد وجدت نفسها تفكر في والدة هايدي، ترى أي نوع من النساء هي، وأين هي؟ فهي بالتأكيد لم تضع أي بصمة خاصة بها في تلك الغرفة الجافة.

خرجت من أفكارها فجأة على صوت دق الباب، وظهرت السيدة باريت قائلة«جئت لأرى اذا كان كل ما تحتاجين اليه على ما يرام يا آنسة.»

«أظن كل شيء على مايرام. أشكرك. كان كرماً من السيد رالف أن يتخلى لنا عن غرفته على هذه الصورة.»

«أن أحدا لا يستخدم هذه الغرفة سوى السيد، وهو يقضي معظم وقته في باريس. والسيد بول له مكتب

www.alilas.com

خاص به في الضيعة، أما الآنسة أن ماري فلا تحب أن تشغل بالها بالعمل بعد ان تترك باريس.»

«وماذا عن زوجته؟»

ردت عليها السيدة باريت بدهشة: «كيف ذلك؟ آه، ان السيدة نادرا ما كانت تجيء الى هنا. كانت هي أيضا تفضل الاقامة في باريس، المسكينة. انني لا أظن أن قدميها وطئتا هذه الغرفة.»

«انك تتحدثين بصيغة الماضي.»

«فعلا يا آنسة. فقد لقيت السيدة مصرعها منذ ست سنوات عندما كان عمر هايدي الصغيرة عامين فقط.»

«يا للفظاعة، لم يكن لدي أدنى فكرة. أنت تقولين أنها لقيت مصرعها، هل تعنين أنه وقع لها حادث؟»

«حادث فظيع يا آنسة. كانت السيدة مريضة هنا، وكانت السيدة في طريقها اليها، واصطدمت سيارتها بسيارة نقل قتلتها على الفور. لقد كان ذلك رهيبا! وبدا على السيد رالف أنه فقد عقله. فقد ظل طوال أسابيع بعد الحادث يرفض التحدث مع أي انسان، أو السماح بذكر ما حدث أمامه.»

قالت اليس بهدوء: «وكيف كان شكلها؟»

«كانت جميلة جدا، وأنيقة جدا، وعملت عارضة أزياء قبل زواجهما، ولا عجب أنها وجدت سانت ديفيس تدعو الى السأم رغم كل ما كان يحيط بها من أضواء.»

تساءلت اليس كيف كانت تجد سانت ديفيس مملة ولها مثل هذا الزوج الجذاب، وتلك الطفلة الجميلة.

قبل أن تغادر السيدة باريت الغرفة قالت وهي تلتفت الى اليس:

«السيدة ديجون تأمل أن تتناولي القهوة معها ومع السيدة ديزموند في الساعة الحادية عشرة.»

وجدت اليس أن ماغي لم تقل الحقيقة، عندما ذكرت أنها لم تنجز سوى عمل قليل في الليلة الماضية. فقد كان هناك من العمل ما يشغلها حتى الحادية عشرة تماما.

أثناء مرورها عبر الردهة، سمعت بول يناديها. لحقها وأمسكها من ذراعها: «تعالي الى الحديقة لحظة. يجب أن أتحدث اليك.»

«ولكنني متوجهة لتناول القهوة مع والدتك.»

«سأخبرك بشيء هام. يجب أن أراك على انفراد.»

كان الجو لطيفا في الحديقة، ولكنها استنتجت من الغضب الذي بدا على وجه بول، أن هناك عاصفة آتية في الطريق. سألها:

«هل تحدث معك رالف بشأني ليلة أمس؟»

«لقد جاء على ذكرك بالفعل.»

«هل سألك ان كنا سنتزوج؟»

«أجل، ولكنني أخبرته أننا لن نفعل ذلك.»

أحست اليس أن بول سينفجر من الغضب فقالت له تهدئه: «بول، لقد حذرتك في لندن من أنني سوف آتي

www.liilas.com

الى هنا فقط على أساس أنه ليس هناك شيء يربط بيننا. وانني لمسرورة أنه أمكنني الحديث اليك الآن بهذه الصراحة. هناك شيء يجب ان اخبرك به.»

«وهناك شيء آخر يجب أن أبلغك اياه، ان أخي أبلغني أنه يرغب في أن أتزوج أنا من دومينيك.»

حملقت فيه اليس وهي تمسك أنفاسها.

«هل تظنين أنني أمزح؟ ان والدها من رجال صناعة المنسوجات الأثرياء، ويريد رالف أن يبدأ في مشروع لانتاج بعض تصميمات فونتن بالجملة. وهكذا فانه يرى من المناسب لخطته لو أن مصانع فونتن أصبحت جزءا من ممتلكات العائلة.»

«ولكن ذلك شيء يرجع الى عصور الاقطاع.»

«أوه، انك لا تعرفين أخي يا عزيزتي. لقد خمنت أنه يخطط لشيء ما عندما تبعك الى الشرفة الليلة الماضية. وبالفعل لقد طلب مني ذلك وانا عارضته. وأبلغته أنني أرغب في الزواج منك. فقال انه أخذ منك وعدا بأنك لن تكوني زوجتي.»

«ان ذلك ليس صحيحا تماما. لقد أبلغته فقط أننا لسنا مخطوبين.»

أمسك بول بيدها وقال: «أليس انك الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي، لو أبلغته اننا خطيبان بالفعل...»

«كلا، لا يمكن أن يحدث ذلك. كل ما عليك هو أن تقف في وجهه.»

«أوه يا عزيزتي، من السهل عليك أن تقولي ذلك. ولكنك نسيت أنني أعتمد عليه في كل شيء، طعامي، وملبسي، وعملي.»

قالت اليس في رقة: «اننى جد اسفة يا بول أن أتخذ في هذه اللحظة قرارا بشأن مستقبلنا. لقد أدركت أن زواجنا لن يكون ناجحا. وتأكد لي ذلك الآن بعد ما ذكرته لي. انني معجبة بك للغاية، ولكن ذلك لا يكفي، لا يكفيني أنا في أية حال.»

«كنت أعرف أنك ستقولين ذلك. ماذا عساي أن افعل؟»

تعجبت اليس من قبوله للأمر الواقع هكذا بهدوء، فقد كانت تتوقع منه على الأقل نوعا من رد الفعل.

استعادت اليس في تلك اللحظة عددا من التصرفات الغريبة.

تلك الطريقة الآمرة لدومينيك على سبيل المثال، وذكرها لمراسلات بينهما. سألت نفسها: هل بدأ بول يتجه اليها هربا من دومينيك وتذكرت تلك اللهفة العاجلة التي حاول بها أن يحثها على قبول الخطبة بينهما.

قالت في النهاية: «لا أدري ماذا يجب عليك أن تفعل. ولكنني أعتقد أنه ما من أحد يمكنه اجبارك على شيء لا ترضاه. انك رجل ناضج، ويمكنك الاعتماد على نفسك اذا اردت. لا بد انك اعطيت أخاك الانطباع بأنك لن تعترض على الزواج من دومينيك. انني لا

أستطيع التصديق ان باستطاعته أن يرسم للآخرين حياتهم مثلما يرسم تصميم راد».

«أعترف لك أنني وجدتها جذابة في وقت ما عندما عادت من سويسرا، ولكنني اكتشفت على الفور حقيقتها. اليس، حتى ان كنت تكرهينني، فلا اظنك ترغبين في رؤيتي زوجا لتلك الصغيرة... عزيزتي، هل أطلب منك التفكير فقط في التظاهر بأنك خطيبتي؟ ولن أطالبك بشيء آخر حالما أبتعد عن الخطر».

«ومتى يكون ذلك؟ عندما تتزوج دومينيك شخصا آخر؟ وماذا علي أن أفعل خلال تلك الفترة؟ أتعايش مع كذبة من أجل مصلحتك؟ يا لجرأتك!»

«أرجوك يا اليس، انني في موقف يائس».

«أما أنا فلست في مثل هذا الموقف».

قالتها بقسوة، وسارت نحو غرفة مكتب رالف. كان الباب مفتوحا قليلا. شاهدت رالف في الداخل يتحدث في الهاتف. استدارت على عقبيها، وقد قررت أن تعود في وقت آخر، ولكن شد انتباهها شيء مما كان يقول:

«لقد تمت تسوية تلك العلاقة التافهة لبول، ولم يكلفنا الأمر درهما. اعتقدت في وقت ما، انه سوف يلقي بنفسه على الحمقاء الصغيرة، إلا أنني تصرفت بمهارة».

وجدت اليس نفسها تطبق بشدة على مقبض الباب الى درجة أن أصابعها آلمتها. شعرت بالمهانة والذل.

ان الاحتقار الذي بدا في صوته الآن يتعارض تماما عما ظنت أنها سمعته منه ليلة أمس.

«سوف أراك فيما بعد. أرجو أن يسير كل شيء وفق ما نأمل الى اللقاء».

وعندما سمعت صوت وضع السماعة لانتهاء المكالمة، كانت قد فرت هاربة الى غرفتها لا تلوي على شيء.

* * *

«سوف أعلن هذا النبأ على العشاء الليلة، اليس! ولكن ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟»

«لا أهمية لذلك. ولكن شرط ألا تنسى أنني لا أنوي الزواج منك الآن، أو في أي وقت. سوف أستمر في التظاهر بأنني خطيبتك لأسابيع قليلة الى أن نعود الى انكلترا، رغم كرهي أن أخدع والدتك على هذا النحو».

«أوه، أن امي ستلهم الموقف، سأقوم بابلاغها بالأمر كله فيما بعد. انها لا تهتم كثيرا بدومينيك».

ثم قال وهو يضحك بسعادة: «ان كان رالف يرغب في اندماج العائلتين في الزواج والعمل، فليتزوجها هو. انني أتوق الى رؤية وجه رالف عندما ألقي بتلك القنبلة الليلة. ان شقيقتي سعاتي من باريس لقضاء اجازة آخر الأسبوع، وهكذا سيكون حفلا بحق».

الآن، وبعد أن هدأت أعصاب اليس، بدأت تتساءل عما اذا كانت قد تسرعت في هذا الأمر. لقد بدا

لها أن افساد خطط رالف هو الانتقام المناسب، ولكن ذلك لم يشعرها بالرضى. كما لم يفلح في إزالة شعورها الحاد بالاهانة الذي لازمها طوال اليوم. لحسن الحظ، لم يكن أمامها وقت لمزيد من التفكير، فقد نزلت اليها ماغي بكومة كبيرة من الأوراق لتعيد نسخها على الحاسوب.

سألت أليس نفسها، وهي ترتدي ثيابها استعداداً للعشاء: من قال ان الانتقام يجلب الراحة؟

وقالت لنفسها وهي ترتدي ثوبا أسود اللون طويلا: أبدو كما لو كنت في حالة حداد. والواقع أنها كانت تكره هذا العشاء ومواجهة الجميع، بمن فيهم تلك الشقيقة الجديدة التي لم ترها من قبل، أو أن تسمع بول وهو يلقي بقنبلة.

تعثرت وهي في طريقها خارج باب غرفتها بشيء وضع على الأرض أمام الباب، كانت لفافة كبيرة. التقطتها وعادت بها الى غرفتها. كانت علبة كبيرة مزينة من الخارج بحرف ق. وهناك مغلف عليه اسمها وضع داخل الغطاء الخارجي للفافة. وبداخله بطاقة كتب عليها: لتعويض ما مزقته من قبل. والتوقيع ر. فتحت أليس العلبة على عجل لتجد رداء له زرقة السماء، يلمع بلون فضي كأن النجوم نثرت عليه. بيدين مرتعشتين وضعت الرداء في علبته ومعه البطاقة ودفعتها الى داخل الخزانة. قالت لنفسها: سوف يعثرون عليه بعد ذهابي.

كان الجميع في غرفة الاستقبال عندما دخلت أليس، آن ماري ديجون شابة تبلغ الثانية والعشرين. لها رشاقة أخيها الأكبر نفسها، ووجهها جميل معبر. كانت تضع هايدي على ركبتيها والاثنتان منهمكتان في قراءة أحد الكتب المصورة. قام بول بمهمة التعارف، وقاد أليس الى ركن في الغرفة متظاهرا بإعداد شراب لها. وقال هامسا: «يبدو عليك الشحوب يا عزيزتي.»

«بل انني أشعر بالوهن. بول، ألا تظن أنها فكرة غير صائبة، أن نخدع والدتك، حتى ولو لفترة قصيرة، ونخدع الآخرين أيضا؟ لا بد أن هناك طريقة أخرى لاقناع رالف ودومينيك اذا احتاج الأمر، بأنك لا ترغب في هذا الزواج.»

«أليس، لا يمكن أن تخذليني هكذا! لقد أعطيتني وعدا.»

«أجل. لكن ما كان يجب علي أن أفعل. لقد كنت مضطربة.»

كانت على وشك إبلاغه بما سمعته مصادفة من تلك المكالمة الهاتفية، ولكنها قررت ألا تفعل. ان العلاقة بين رالف وبول متأزمة بالفعل، وهي لا تريد أن تعطيه سببا آخر لمزيد من التوتر.

«ولكنك وعدتني. وتأكدي أنني لن أضايقك بمجرد انتهاء هذه المشكلة. أليس. ان قلب والدتي مريض، وهي تحزن كثيرا عندما نتشاجر أنا ورالف. وبهذه

الخطة، لن يكون هناك شجار. فليس بوسع رالف أن يقول شيئا.»

«وهو كذلك. ولكنني لن أستمر في هذه اللعبة أكثر من الوقت اللازم. كما انه لن يكون عليّ أن أتصرف وكأنني خطيبتك حقيقة.»

قام على الفور وقبل وجنتها قبل أن تستطيع منعه. نظرت حولها لتعرف ما اذا كان هناك أحد قد لاحظ تلك الحركة، وقابلتها على الفور، نظرة استياء من جانب دومينيك التي كانت تخطو الى داخل الغرفة وبجانبها رالف. كانت نظرته لا تنم عن شيء ولكنها أدركت أنه لاحظ مداعبة بول لها.

ظلت أعصابها متوترة طوال العشاء، إنتظاراً لاعلان بول عن خطبتهما، حين قدم الشراب، مالت السيدة ديجون برأسها على رالف وقالت وهي تبتسم «يبدو أن هناك مناسبة سنحتفل بها.»

«يبدو أنني لا أعلم شيئا عن سبب هذا الاحتفال.» قاطعهم بول، ووقف قائلا: «أريدكم جميعا أن تشربوا نخب أليس، الآنسة فيرفاكس، التي شرفتني بموافقتها على أن تكون زوجتي.»

ساد الصمت، وكانت آن ماري هي البادئة بكسره: «مبروك.»

قالت السيدة ديجون بحيرة ظاهرة: «بول، ولدي! ما هذه المفاجأة التي ألقيتها علينا.» والتفتت الى أليس وتابعت: «يا عزيزتي، لم تكن لدينا أية فكرة.»

قال بول: «لقد تقابلنا في لندن، وعرفنا منذ اللحظة الأولى.»

قالت أليس وهي تحاول ان تبتسم وتلعب دور الخطيبة السعيدة: «كل ما في الأمر أننا لم نكن نعرف اللحظة المناسبة لكم جميعاً لنعلن ذلك.»

وجهت نظرها في صعوبة الى رالف. لقد توقعت منه ثورة من الغضب أو الاحتقار، أو حتى الحزن، ولكن لم يبد على وجهه أي نوع من التعبير.

والى جانبه دومينيك التي لم تحاول اخفاء غضبها واستياءها من هذا التحول في مسار الأحداث، وأخذت تتحدث مع بول بالفرنسية بصوت خافت، كان هو يستمع اليها وأصابعه تضغط بشدة على الكوب. كادت أليس أن تشعر بضغط تلك الاصابع حول عنقها.

نهضت أليس بسرعة وقالت: «أرجو المعذرة، انني أشعر بصداع خفيف، انها الاثارة فيما يبدو.»

«أبدت السيدة ديجون تعاطفا على الفور، ووعدت بإرسال شراب ساخن الى غرفتها وقالت وهي تربت على يدها: «سيكون لنا في الغد حديث خاص.»

لم تستطع أليس النوم رغم احتسائها للشراب الساخن، قامت من سريرها ووقفت بجوار النافذة، انها لم تعثر حتى الآن على تلك الحديقة الصغيرة التي ما زالت تحتفظ بأسرارها. في الغد، سوف تلجأ اليها هربا من غضب رالف ومن مناورات دومينيك.

وحتى من ذلك الحديث الخاص مع والدته. فجأة توترت أعصابها لانها سمعت صوتا في الخارج. لا بد أنها ماغي تريد تفسيرا لما حدث، ولكنها كل الحق في ذلك، ولكن ألا يمكنها ان تنتظر الى الغد. عبرت الغرفة متجهة الى الباب. وضعت يدها على المقبض لتفتحه، ولكنها سمعت صوت رالف يقول في هامسا: «أليس.»

تجمدت أطرافها، وجف ريقها، وأسندت رأسها على الباب قبل أن تسقط. قالت لنفسها: أوه، كلا! لا يمكنني مواجهته الآن. سمعت من جديد طرقة على الباب، وهو يقول بصوت أعلى:

«انني اعلم أنك هنا، من فضلك افتحي الباب، يجب ان أتحدث اليك على الفور.»

ماذا يعني بمجيئه إلى غرفتها على هذا النحو؟ ان الوقت ما زال مبكرا، وما زال الآخرون، بدون شك، موجودين في غرفة الاستقبال. هو بالتأكيد لا ينوي أن يستخدم من جديد تلك الاساليب التي مارسها في لندن معها. يمكنها بسهولة أن تفتح له الباب، ولكنها تعرف تماما ما الذي سيحدث حينئذ. لقد قالها بنفسه انه لن يألو جهداً في أن ينهي علاقتها ببول، وهو في الوقت نفسه وضح لها تماما، أي نوع من النساء يعتبرها.

«أليس! افتحي الباب الآن، يجب ان اراك.»

أحست بمقبض الباب يتحرك في يدها وهو يحاول

فتح الباب. ولكن الباب، لحسن الحظ، كان مغلقا بالمفتاح. لقد نجت أخيرا منه، ومن نفسها أيضا. كانت تشعر أنها على وشك الاستسلام له. ذلك الاستسلام الذي يبدو في وجوده أمرا حتميا، ومرغوبا فيه ايضا.

انتظرت أن يتكلم ثانية، ولكنها بدلاً من ذلك سمعت وقع أقدامه وهو يبتعد عن الباب بهدوء، وهي تترك العنان لدموعها التي انسابت من شدة التوتر والمشاعر المضطربة.

www.liilas.com
مكتبة ليلاس

الفصل الخامس

نامت أليس تلك الليلة في ساعات الصباح المبكرة. أيقظتها الخادمة حاملة صينية الافطار، حيث وجدت عليها ورقة مكتوبة بخط ماغي، قرأت فيها: حسنا يا صغيرتي، أرجو أن تكوني مدركة لما أنت مقبلة عليه. سوف أرافق السيدة هذا الصباح في جولة لمحال التجميل، أراك فيما بعد.

كانت أليس تود لو أنها أمضت هذا الصباح منشغلة في عملها، أو أن تشعر بوجود ماغي على الأقل بجانبها تحميها من العالم كله. والآن، عليها أن تجد ما تشغل به نفسها طوال اليوم. سمعت طرقا خفيفا على الباب، توترت أعصابها بدون وعي منها، ولكنها هدأت عندما رأت أن ماري تدخل عليها وهي تحمل إناء فضيا للزهور فيه ثلاث وردات حمراء، ما زال الندى عالقا بها.

«أرجو أن تكوني في حال أحسن، وبول أيضاً. لقد كانت حالته سيئة بعد ذهابك الليلة الماضية. قطعت هذه الورود من حديقة جدتي. لقد تفتحت مبكرا، ولكن كما تعلمين ان مظلة الحديقة تعمل على حماية الورود...»

«اه هذا كرم كبير منك.»

«انت انكليزية مثل جدتي، ولذلك شعرت أنك ستحبين

هذه الورود. انها تحتاج الى عناية، ولكن ليست لدي تلك اللمسة التي كانت تضيفها جدتي على الحديقة. لقد أصبحت مهملة وولتي لا يساعدني كثيرا على العناية بها.»

«ربما أمكنتني المساعدة. انني أهوى العناية بالحدائق.»

«فكرة طيبة. ان قضاء يوم تحت اشعة الشمس سيفيد كلا منا، كما انه سيتيح لنا الفرصة لمزيد من التعارف. لقد كان إعلان بول أمس بمثابة صدمة. كنت أتوقع أن يتزوج من شاو أخرى، اعذري لي صراحتي.»

«أجل، أعلم ذلك.»

«كنت تعلمين؟»

«أرجو ألا يكون في الوضع الجديد خيبة أمل للجميع.»

«كلا بالطبع. ولكن كل ما في الأمر أنها أحبته منذ أن كانا صغيرين. كنا نأمل جميعاً ان يجيء يوم يعرف فيه بول... ولكن يخطيء دائما من يحاول أن يرسم للآخرين حياتهم. لقد اختارك بول، ولن يمضي وقت طويل قبل ان نعتاد وجودك بيننا. متى تعتزمان الزواج؟»

«لم يتقرر ذلك بعد. سوف أقوم الآن لتغيير ملابسي. أعتقد أنه من الممكن أن ننجز شيئا في الحديقة قبل الظهر.»

«بالتأكيد، سوف أذهب لاحضار الأدوات.»

كان صباحا منعشا، وشعرت أليس بارتفاع معنوياتها مع احساسها بأشعة الشمس تلامس وجهها. تقدمتها أن ماري نحو الحديقة تاولت اليس الأدوات القديمة التي جاءت بها واختفت من جديد. ثم عادت وهي تحمل مجموعة أدوات للزراعة جديدة وقد ظهر عليها الانتصار.

«ان بيار يخفي دائما هذه الادوات، فهو لا يوافق على أن تقوم النساء بأعمال الحدائق.»

سارتا في طريق ضيق تتشابك فوقه أغصان الأشجار وعلى جانبيه. كان الطريق أشبه بنفق أخضر، وفي نهايته ظهر جدار عال تغطيه تعريشة نباتية يتوسطه باب على شكل قوس منخفض. رفعت أن ماري المزلاج ودلفتا الى الحديقة.

حبست أليس انفاسها. انها تشاهد الآن ذلك الكم الكبير من براعم الورود التي كانت تراها من نافذة غرفتها. وهناك مجموعات مختلفة من الزهور، ولكن الورود أثارت اهتمامها. فكانت رائحتها تملأ الجو. قالت أليس وهي تأخذ نفساً عميقاً: «انه اشبه بالحلم.»

«أنت محقة، في الواقع، كانت جدتي دائماً تصف حديقتها بحديقة الأحلام. وكلما واجهتها مشكلة، والمشاكل كثيرة كما تعلمين، في بداية انشاء مشروع فونتين، كانت تأتي الى هنا لتجلس قليلاً،

ولا يمضي وقت طويل حتى تختفي تلك المشاكل.»

وقفت أليس لحظة تملأ نفسها بالسكينة التي تحيط بالمكان. ولأول مرة منذ مجيئها الى القصر، انطلقت ضاحكة بصوت عال. قالت أن ماري: «من الافضل ان نبدأ العمل.»

بعد ساعتين من العمل الشاق، قفلتا عائدتين الى القصر لتناول الغداء. وهما تشعران برضى كامل بما أنجزتاه من عمل. وقبل أن تفترقا للاغتسال، أخذت أن ماري يد أليس في يدها وقالت:

«في الليلة الماضية، عندما أغلق بول الخطية، لم أكن أظن أنني حتى سأميل اليك. ولكنني كنت مخطئة، ان من عيوب العائلة، أننا نتخذ مواقف مسبقة. والآن، هل اصبحنا صديقتين؟»

«إنني أمل ذلك حقيقة.»

سيطرت على أليس الرغبة في أن تفضي الى أن ماري بحقيقة تلك الخطبة. ولكنها شعرت أن في ذلك إحراجا ببول، خصوصا وأنها لم تأخذ رأيه بإبلاغ شقيقته بالحقيقة.

تناولت الفتاتان غداءهما بمفردهما. قالت السيدة باريت أن رالف وبول ذهبا الى الضيعة، كما اصطحبت الآنسة فومون السيدتين الكبيرتين في جولتهما.

توجهت أليس، بعد الغداء، الى غرفة المكتب، ووجدت كما توقعت كومة من الأوراق التي تركتها ماغي لها

لتنسخها. جلست من فورها الى العمل الذي أخذ منها كل اهتمامها، الى أن سمعت صوت الباب يفتح، توقعت أن تكون ماغي، وقد عادت من جولتها، ولكنها بدلا من ذلك وجدت رالف، واقفا يراقبها.

انتابها على الفور ذلك الشعور بأنها معرضة للهجوم، هبت واقفة وقالت: «مساء الخير.»

«هز لها رأسه، وواصل النظر اليها، استمر بينهما صمت لا نهائي، شعرت اليس بضربات قلبها تسرع ويعلو صوتها، قطع أخيرا لحظات الصمت وقال: «لماذا لم تفتحي لي الباب ليلة أمس؟»

«كنت أعتقد أن الاجابة على ذلك واضحة، وخصوصا بالنسبة اليك يا سيدي.»

«حقا؟ لا أعتقد من تلميحاتك أنك تظنين أنه يخطر لي إغواء فتاة هي ضيفة تحت سقف بيتي.»

«لست في حال يمكنني من أن أعرف على وجه الدقة، ما الذي يمكن لك ان تفعله، ومع ذلك، ولمعرفتي برأيك السابق بي، فان سماحي لك بالدخول الى غرفة نومي هو آخر شيء يمكن ان أفعله.»

«هكذا، مع علمك بأن هناك شيئاً عاجلاً أريد قوله لك؟»

«ليس بيننا شيء لا يمكنك أن تقوله هنا، والآن. أعتقد أنك غاضب لأنني خدعتك بالنسبة الى علاقتي ببول.»

«لم تخدعيني يا اليس، ولست أيضاً غاضباً. ويمكنك

القول أن مشاعري في هذه اللحظة مختلطة.» تقدم اليها، وبحركة غريزية، خطت الى الوراء، استمر هو في التقدم ببطء، وهي في التراجع الى الخلف الى أن اسندت ظهرها الى الحائط. ولا مهرب أمامها. لم يتوقف رالف عن التقدم الى أن اقترب منها كثيرا ووضع إحدى يديه على الحائط بحيث أصبحت محاصرة تماما، وقف صامتا ينظر الى وجهها.

وقفت اليس بلا حراك، تجتاحها مشاعر الارتباك والرغبة في هذا الرجل الواقف أمامها. لماذا سمحت لبول بوضعها في هذا الموقف السخيف؟ أرادت أن تهتف له بالحقيقة. تقول له انها تريده هو، وليحدث ما يحدث.

ربت رالف على وجنتها برقة بالغة، ثم هبط بأصابعه ليتحسس عنقها وخطوط وجهها.

قال وهو يحاول فك الأزرار العلوية لقميصها: «ان إحكام الأزرار على هذه الصورة لا يناسبك، مثلما عهدتك من قبل.»

رفعت اليس يدها لتصفعه، ولكنه قبض على يدها في الهواء وقال: «لا أنصحك بأن تفعلي هذا، وإلا وجدتني مضطرا للرد عليك بطريقة لن تعجبك.»

«هكذا! فيم اذن كان تساؤلك عن السبب الذي منعني من فتح الباب لك؟»

«انني لأتساءل أيضا عن سبب هروبك مني الآن

على هذا النحو. ماذا تتخيلين أن أفعل معك هنا في غرفة مكتبي وفي هذه الساعة من النهار، حتى لو لم تكوني مخطوبة لأخي؟»

أطلق يدها وخطا الى الوراء، تحسست آليس رسغها الذي كانت آثار أصابعه ظاهرة عليه. كانت تشعر بجفاف في حلقها. قالت بهمس: «ما الذي كنت تود قوله لي، الليلة الماضية؟»

«لم يعد الأمر يستحق العجلة.»

«اذن، أرجوك أن تذهب، وتدعني وشأني.»

«كما تشائين، واسمحي لي أن أتقدم بتهنئتي على خطبتك.»

ثم جذبها بشدة، وأحست أن ضلوعها ستتكسر تحت ضغط ذراعه وهو يحتضنها.

ثم توجه نحو الباب برشاقته المعهودة، توقف لحظة ليقول لها: «تذكريني أن أعيد لك مجوهرات العائلة.»

استمعت ماغي بصمت وذهول لآليس وهي تقص عليها القصة الباشة بحذافيرها. ثم قالت لها معاتبة:

«ابنتي العزيزة، ما الذي اصابك عندما قررت أن تفعلي هذا الجنون؟ ولكن لا نلقي باللوم كله على بول. ان وراء كل ذلك هذا الأخ الفظيع جميل الطلعة.»

«انك على حق تماما. انني لم أكره أحدا في حياتي مثلما أكرهه.»

«والآن أعتقد أن أفضل ما نفعله هو أن نحزم متاعنا

ونعود الى لندن قبل أن يتمكن بول من اقناعك بالزواج منه.»

«أوه، كلا! أعني، الكتاب، رحيلنا الآن سوف يفسر كل شيء.»

«انني أعترف بأنه لم يكن في نيتي العودة هكذا سريعا.»

ثم نظرت ماغي الى آليس بإمعان وأردفت:

«الأمر لن يكون سهلا عليك خلال الأسابيع القليلة المقبلة. وانني أشعر أيضا بوخز الضمير للاستمرار في خداع السيدة بنجون، ولكن مصارحتها بهذه المسألة قد تصيبها بنوبة قلبية.»

«أعلم ذلك، ولكنني حاليا لا أفكر إلا في ...»

«كيف تتقدمين من رالف وتلقينه درسا، آليس كذلك؟ ولكنني لا أنصحك بذلك، على كل حال، لن يكون عليك مواجهته لفترة ما. لقد عاد الى باريس وبصحبته دومينيك.»

«دومينيك بصحبته؟»

تذكرت في تلك اللحظة إشارة بول العابرة، بأن على رالف ان يتزوج هو من دومينيك ان كان راغبا في دمج العائلتين.

توالت الأيام، وآليس غارقة في العمل، وهي تشعر بأن في ذلك راحة لها من الامعان في التفكير فيما وصل اليها حالها. وكانت تمضي الكثير من وقت فراغها تعنى بالحديقة الصغيرة، ولكنها كانت تعمل

www.liilas.com

فيها وحيدة بعد ان عادت آن ماري الى عملها في باريس.

وجدت أليس، مع مرور الأيام، ان علاقتها ببول تمضي بصورة أسهل، خاصة وانه لم يبذل محاولات لاجبارها على نوع من علاقة الحب بينهما. فقد بدا راضيا بالصفقة التي أبرماها معا. ولكنه مع ذلك لم يوافق على إنهاء هذه الصفقة كما كانت أليس تأمل، الا بعد ان يتأكد من ابتعاد دومينيك عن طريقه.

وقد أتاح لها الدور الذي تلعبه كخطيبة لبول ان تتصرف بحرية سواء في المنزل او في داخل الاصطبلات. سألته مرة وهما يتريضان بالخيل: «لن يستغرق ذلك وقتا طويلا يا عزيزتي، بقدر معرفتي برالف.»

«هل انت متأكد تماماً من أنه سيتزوجها؟»

«بالطبع. لا شيء يمكن ان يستحوذ على اهتمام رالف أكثر من فونتين، فيما عدا اسم العائلة بطبيعة الحال.»

«ألا يعني الحب شيئاً بالنسبة إليه؟»

«لم يعد ذلك يعني شيئا لرالف بعد وفاة زوجته.»

قالت أليس لنفسها بألم: لا بد أنه كان يحبها كثيرا. ثم ان هناك أيضا ابنته هايدي. لكنها لم ترها كثيرا منذ اعلان خطبتها المزعومة. فهي عادة تقضي وقتها تحت رعاية الآنسة فيرود تلك الفتاة الصارمة التي تنظر الى العالم من خلالها نظارتها الطبية

السميكة. كان من الأفضل للطفلة بالتأكيد أن تذهب الى المدرسة، فهي ستشعر هناك بسعادة أكثر من وجودها في عزلة داخل هذا البيت.

تجرأت مرة وأثارت هذا الموضوع مع السيدة ديجون التي كانت تجلس في الشرفة منهمكة في التطريز. كانت أليس طوال تلك الفترة قد أفلحت في تجنب اثارة أي حديث خاص معها، وهي من جانبها لم تحاول أن تثير مثل هذه الاحاديث. كانت تعامل أليس بود، وكان يبدو عليها أنها راضية تماما بأن تترك لملاقتها ان تسير بطريقة عادية. كانت أليس تتوقع منها التأنيب لاثارة موضوع هايدي. ولكن لدهشتها، كأنما انتهزت الفرصة للحديث في هذا الموضوع، قالت وهي تتنهد:

«انك على حق يا عزيزتي. ولكن كيف السبيل الى اقناع رالف؟ لقد وضع قواعد لتربية طفلته. يجب عليّ ألا أتدخل، على ما يبدو. ولكن ذلك أمر صعب. ان المدرسات في المدرسة التي كانت تذهب اليها آن ماري وهي طفلة يبدين ترحيبا حارا لاستقبال هايدي لديهن. ثم انها في حاجة الى اللهو مع أطفال في مثل سنها.»

تنهدت مرة أخرى واضافت: «ثم انظري الى ملابسها! يا للبشاعة! ان احدا لا يقوم بانتقائها سوى فيرود، انها كفء، ما في شك، ولكن ذوقها يفتقر الى الأناقة تماما.»

www.liilas.com

كانت أليس تتفق تماماً مع ما تقوله السيدة ديجون. فلطالما لاحظت ذلك ووددت لو أنها أخذت الطفلة من يديها وألبستها ثوبا بسيطا. وأخذت تعدو معها في أنحاء الغابة التي تحيط بالقصر، وأن تشعر ولو لمرة واحدة أن ملابسها متسخة. كانت تود لو صحبتها للسباحة في البركة العميقة التي يمر فوقها جسر سانت دينيس حيث يلهو الأطفال ويقذفون بعضهم البعض بالمياه، ثم يجلسون على الصخور تحت أشعة الشمس، ان فيرون، على ما يبدو، تتعلل غالبا بذلك الصداع في الأوقات المخصصة لنزهة الطفلة، وبذلك تحرمها من التعرض للشمس والهواء.

ووجدت أليس فرصتها في إحدى نوبات الصداع تلك. كانت هايدي جالسة عند نهاية السلم تبكي، احتضنت أليس جسدها الصغير وقالت: «ما الأمر يا عزيزتي؟»

«لقد وعدتني الآنسة بالذهاب معي اليوم الى القرية، ولكنها تقول انها مريضة جدا، وذهبت من فورها الى السرير. انها دائما تفعل ذلك. إما ان الجو حار جدا، أو أن المشوار طويل جدا، أو أن درجة الحرارة تشعرها بالمرض.»

وأجهشت الطفلة من جديد بالبكاء. أدركت أليس أن الطفلة عانت مرارا من خيبة أمل مشابهة. هبت واقفة في رشاقة وهي تجذب هايدي معها. وقالت وهي تبتسم: «حسنا، سوف أصطحبك أنا للنزهة

في القرية كنوع من التغيير. ولكنني لا أريد أن أصطحب مثل هذا الوجه الذي تعلوه الدموع. هيا اذهبي واغسلي وجهك وسوف أراك هنا بعد عشر دقائق بعد أن أغير ملابسي.»

تهلل فجأة وجه هايدي الصغير الفاتن، وأسرعت بمرح تاركة أليس تذهب الى غرفتها لترتدي ثوبا بسيطا.

قالت في نفسها: انني أتصرف معها، في أية حال، كما يجب على زوجة العم أن تفعل ولكن الطفلة لم تكن في حاجة الى زوجة عم، كانت بحاجة الى حنان الأم. وربما كان رالف يدرك ذلك، ويقوم في ذلك بتدبير ذلك الأمر. ولكن هل يمكن لدومينيك أن تنجح في هذه اللحظة، تماما كما هي مطالبة بأن تنجح في دورها كسيدة لهذا القصر وزوجة لصاحبه؟

قال بول ان الحب لا يدخل عنصرا في زواج كهذا، ولكن، لا يمكن لرالف أن يكتفي بزواج قائم فقط على المصلحة، ويخلو من أي نوع من العاطفة. كان من الصعب على أليس أن تفهم تصرفات دومينيك. ففي البداية، لم تكن تخفي أنها تريد بول، والآن، ودون مواربة أيضا، تحولت باهتمامها الى رالف. ولكن هل يرضى رالف بأن يكون الرجل الثاني بالنسبة الى أية امرأة؟

أخذت هايدي تثرثر مرحة وهما في طريقهما الى سانت دينيس، وكانت أليس سعيدة بتلك الثرثرة.

www.liilas.com

فقد ساعد ذلك على ابعاد أفكارها عن أشياء لا ترغب في مواجهتها، ولذلك فقد تجاوبت مع الطفلة في مرحها.

كان الجو شديد الحرارة، وأحست أليس بألم في قدميها بسبب تسرب الأتربة الى داخل حذائها المكشوف. قالت لنفسها: ان ذلك ربما يفسر نوبات الصداع التي تنتاب فيرود كلما جاء ذكل مثل هذه النزهات.

واكتشفت أليس على الفور أن رغبة هايدي في الذهاب الى القرية، لم يكن لمجرد النزهة واكتشفت أليس ان هناك محلا لبيع الحلوى والمثلجات، وربما كان ذلك من أهم الأسباب التي تثير بهجتها بالذهاب الى القرية.

عند اقترابهما من الجسر، شاهدت أليس اطفالاً يلعبون كالعادة، ولكن ما ادهشها كان رد فعل هايدي. فقد شعرت أن الفتاة تسير الى جانبها بصمت وهي تنظر الى الأرض، وأدركت أنها تصاب بالخجل والحرج عندما يكون هناك أطفال آخرون. ولاحظت أيضا أن الأطفال توقفوا عن اللعب وهم يراقبون فرانسوا في إستياء، بل انهم أخذوا يفرقون في الضحك في نوع من الاستهزاء عندما مرت بهم، وتفوهت طفلة منهم بشيء من السخرية.

سألت أليس: «هل تعرفين هذه الطفلة؟»

«انها ابنة صاحب محل الحلوى.»

سحبت الطفلة يدها من أليس التي شعرت أن الطفلة أخذت في الانطواء على نفسها. ولكن لماذا؟ كانت تود لو عرفت الاجابة على هذا السؤال، ولكنها فضلت أن ترجيء الموضوع الى وقت آخر. فقد خلت خطوات الطفلة تماما من أي نوع من البهجة، بل انها كانت على وشك البكاء.

«ها قد ظهرت المنازل أخيراً. ما أجمل الزهور التي تنمو حول هذه الحديقة الجميلة. ألا تذهبين اليها لتلعبي فيها؟»

«كلا. ان البستاني يبار يقول ان حدائق الزهور من اهتمامات الانكليز والمجانين. لأنها مجرد مضيعة للتربة التي يمكن أن تستخدم في زراعة الخضار.»

«ومع ذلك فهو يعتني بحديقة القصر.»

«بالطبع، والا ما استخدمه والدي.»

أخذا يتجولان في القرية من متجر الى آخر، وقد استعادت هايدي حيويتها. كما لاحظت أليس أن أهل القرية، على عكس أطفالها يعاملون الطفلة بود وحرارة.

توقفت أليس عند إحدى المقاهي لتأخذ قسطاً من الراحة وشيئا من المرطبات. وأدركت أن صاحب المقهى يعاملها معاملة خاصة، وأن جميع من حولها يراقبونها جيدا. ربما كانت أنباء خطبتها المزعومة قد بلغتهم. وتأكدت ظنونها عندما قالت هايدي:

«الجميع يتساءلون عن موعد زواجك بعمي، فعندما

يكون هناك زواج في عائلتنا. يقام هنا في الميدان حفل راقص، ينتقل اليه المدعوون من القصر عند منتصف الليل ويشتركون في الرقص مع أهل القرية. لقد حدث ذلك عندما تزوج بابا من ماما. عمي بول قال لي ذلك، وكيف أن الجميع كانوا يلعبون ويرقصون بسعادة. والآن جا، دورك يا آنسة.»

«اذا كان الأمر كذلك، ألا ترين أنه من الأفضل ان تناديني بشيء غير آنسة.»

«زوجة عمي.»

«أعتقد أن ذلك سابق لأوانه. ماما أو أنك تنادينني باسمي؟»

«أليس؟ ولكن الآنسة فيرود ستقول إن ذلك غير لائق.»

«مع احترامي الشديد لها، أعتقد أنه من الأفضل أن نترك للآنسة آراءها في هذا الشأن. هل اتفقنا اذن.»

«بالتأكيد يا آليس.»

ابتسمت بشقاوة وهي تقول ذلك، مما زادها جمالاً. كان اهتمامها كله منصبا على الحديث مع الطفلة التي كانت تقدم لها شخصيات القرية وهم يمرون بهما، ولذلك لم تلحظ على الاطلاق السيارة السبور وهي تتجه نحوهما، الا عندما هبت هايدي واقفة وقالت وهي تلوح بيدها: «يا، بابا، نحن هنا.»

هبط قلب آليس بين ضلوعها وهي ترى ملامحه

السمراء الجذابة وهو جالس خلف عجلة القيادة، ولكنه لم يكن وحيدا، كانت دومينيك تجلس الى جواره.

نزل رالف من السيارة ببطء، وركضت الطفلة نحوه، ولكن آليس لاحظت أنه انتزع نفسه برفق من بين يدي الطفلة التي كانت تحاول احتضانه بسعادة.

«وهكذا وجدت لك صحبة جديدة.»

لم يكن يبدو عليه الضيق، بل على العكس، كانت على وجهه ابتسامة صغيرة، أحست آليس بالتوتر، وانسكير كوب الحصير على ملابسها وهي تحاول الوقوف، وزادها ذلك اضطرابا. حاولت فتح حقيبة يدها لتخرج منديلا، ولكن قبل أن تتمكن من العثور عليه، قدم لها منديله. قامت بتنظيف ملابسها وهي في أشد حالات الاضطراب. تحسس ملابسها وقال: «هل يمكن غسله؟»

«بسهولة.»

«لقد أرحتني، فلم أكن لأرغب في إفساد المزيد من ملابسك.»

جاء من السيارة صوت دومينيك الآمر:

«هل سأنتظر هنا طويلا؟»

تقدم رالف من السيارة وفتح لها الباب.

«كلا بالتأكيد يا عزيزتي. سنأخذ جميعاً شيئاً من المثلجات ثم أعيد هايدي والآنسة فيرفاكس الى القصر.»

www.liilas.com

«ومن الذي كان سيقوم بتلك المهمة لو أننا لم نصل؟»

ألقت دومينيك نظرة خاطفة على ثياب اليس المتسخة، ثم تجاهلت وجودها تماما. وتحولت الى هايدي وهي تطلق الكثير من الأسئلة التي كانت اليس على ثقة من أنها لا تتعلق الا بالدروس والأنسة فيرود. كانت هايدي تجيب على تلك الأسئلة بأدب. ولكن كان من السهل على اليس أن تلاحظ أنها تجيب بلا حماس، حتى أنها تثاءبت ودومينيك مستمرة في القاء أسئلتها حول مدى تقدمها في دروس الحساب.

لم تكن اليس راغبة في تناول كوب آخر من عصير الليمون ولكنها لم تكن تعرف كيف ترفضها أو ترفض مصاحبتهم الى القصر بدون أن يبدو في ذلك شيء من الفظاظة. كانت تلك الابتسامة السبب في اتخاذ قرارها، ستعود الى القصر سيرا على الأقدام، حتى ولو كان في ذلك آخر ساعة في حياتها. انها لا تريد أي معروف منه هو بالذات، هو الذي يعتقد انها ستذوب شوقا عند أقل نظرة منه.

جلست اليس تحدق في مبنى مشيد عند الطرف الآخر من الطريق، حتى لا تضطر للمشاركة بالحديث في تلك الجلسة. قال رالف الذي كان يراقبها «تعطين الانطباع بأنك تحفظين كل حجر في المبنى. لا بد أنك تحلمين الآن بذلك اليوم الذي تقفين فيه كعروس لبول.»

«بدون شك.»

قال لها هامسا بحيث لا يصل صوته الى الآخرين:

«من الافضل لك ألا تثقي كثيرا بالأحلام.»

«هل تهددني؟»

«على العكس، اعتبري الأمر تحذيراً من صديق.»

«حقا؟ ولكنني أعتقد أن الصداقة بيننا أمر مستحيل.»

«قد تكونين على حق.»

«يسرني اننا اتفقنا على شيء أخيراً. وهكذا أرجو أن تتفق معي ايضا على انه يجب عليك التوقف عن التدخل طوال الوقت في علاقتي مع بول.»

«يؤسفني أن تكون تلك هي نظرتك الى اهتمامي بتلك العلاقة الصغيرة بينك وبينه.»

«وأنا يؤسفني أيضا ان تعيش مختلفاً عن هذا العصر مئات السنين. فأصحاب الأفكار الذين من نوعك اندثروا مع الثورة الفرنسية، أو كان يجب أن يندثروا. ولتعلم شيئا أكيدا، لا أنا ولا بول سنخضع لضغوطك علينا. ان لنا الحرية في التصرف في حياتنا كيفما نشاء. والآن انني أفضل العودة الى القصر بطريقتي الخاصة.»

«لحسن الحظ لن تكون هناك ضرورة لذلك.»

التفتت لترى من هو القادم الذي رفع اليه يده بتحية عابرة. لقد كان بول قادما على الممر تجاههم.

«جئت في الوقت المناسب تماما. كانت خطيبتك

تدافع عنك دفاعاً شرساً وكأنها نمرة تدافع عن صغارها.»

«أوه، لقد تركت في القصر نمرة غاضبة أخرى. ألم يكن من الأفضل يا أليس أن تبلغي فيرود بأنك ستصطحبين هايدي الى هنا؟ انها الآن مقتنعة تماماً بأن الطفلة خطفت على أقل تقدير. ولحسن الحظ أن السيدة باريت شاهدتكما وأنتما تغادران القصر، وتمكنت من تهدئتها قبل أن تثير قلق امي.»

«أوه، لقد اعتقدت أن هايدي أخبرتها.»

نظرت الى الطفلة التي كانت تجلس والشعور بالذنب يملؤها. قال رالف: «بالتأكيد لم تفعل. فهي كانت تشك في حصولها على مثل هذه الموافقة، ولذلك قررت أن تتخطى فيرود تماماً. تعالي يا هايدي، سوف نبحث هذا الأمر. بول، هل تقوم باصطحاب أليس؟»

كانت أليس تحس بالضيق والحرج. فهي لم تكن تتوقع أن تتحول رغبتها في منح الطفلة شيئاً من السعادة الى هذه الأزمة. لقد بدت الآن كانسانة تتدخل فيما لا يعنيها، وتتصرف بدون تقدير. نظر اليها بول وهما في السيارة وقال وقد بدا عليه القلق:

«هل أنت بخير يا أليس؟»

«أعتقد ذلك، ولكنني لم أكن أعلم أنه ينبغي على هايدي ألا تغادر القصر من دون اذن.»

«لم يكن ذلك مهماً فيما مضى، ليس هناك ضير طالما هي معك. ولكنها ابنة رجل ثري، وقد تتعرض لخطر.»

ثم نظر اليها وسأل مستفسراً:

«ماذا كنت تقولين لرالف؟ ماذا كان يعني بقوله انك كنت تدافعين عني؟»

«لا تلقي بالا الى ذلك. كل ما في الأمر انه غير مرتاح لخطيبتنا المزعومة.»

قال بول عندما تمكنت سيارة رالف من تخطيهما في الطريق عبر التل: «لم يكن رالف من قبل يمضي مثل هذا الوقت في القصر، أود أن أعرف السبب في ذلك.»

نظر اليها وتابع: «هل انت عند وعدك يا عزيزتي؟ ألن تدعيه يعلم أن خطبتنا مزعومة الى أن تصبح دوميفك خطيبته؟»

«كلا، لن أبلغه.»

الفصل السادس

كان العشاء الليلة الماضية حافلاً بالتوتر. حتى دومينيك لم تحاول ان تحتكر الحديث كعادتها، واقتصرت على الحديث بصوت منخفض مع رالف.
أما بول، فيبدو أنه قرر أن الوقت قد حان لأن يقوم بدور الخطيب المحب معها، الأمر الذي أثار غضبها. فقد اجبرها على أن تجاريه، وأن تخفي توترها المتصاعد، خصوصاً امام والدته، التي كانت تبدو سعيدة بأن ابنها الأصغر بدأ يسير أخيراً على تقاليد العائلة.
ولو أن أليس كانت تحب بول حقيقة ، لكان ذلك الاهتمام الذي ابداه نحوها طوال العشاء، من اجمل اوقاتها. ولكن الذي حدث، ان الطريقة التي مال بها عليها، ووجهه يكاد يلمس شعرها، أو ملامسة يده ليدها وهو يشعل لها سيكارة، كل ذلك كان يصيبها بالاختناق فعلاً. كذلك عندما جلس الى جانبها على الأريكة الكبيرة في غرفة الاستقبال، ملتصقاً بها بشدة، لم تجرؤ حتى على دفعه بعيداً عنها.
كانت ماغي هي الشخص الوحيد الملم بتفاصيل ما يدور في هذا الجمع الذي لم يكن مدركاً لما يجري، إلا أن انها استأنفت فور تناول العشاء لتغرق نفسها

في العمل. كان انشغالها كبيراً، خصوصاً قراءة المذكرات ديجون، الى الحد الذي جعل أليس تقرر ألا تشغلها في هذا الوقت بالذات بشكوكها ومشاكلها الشخصية. كانت تدرك أنها وصلت الى مرحلة معينة من عملية العمل الأدبي، تتسم بحساسية شديدة، ويجب ألا يقلقها أحد. هذا بالاضافة الى إدراك أليس أن رد فعل ماغي لن يكون سوى إلقاء اللوم عليها بأنها هي التي جلبت لنفسها كل هذه المشاكل.
وشعرت أليس أن ذلك صحيح الى حد ما، ولكنها كانت تقنع نفسها بأنها أرغمت على ذلك الموقف الشائك، بسبب الصرفات الشريرة الشائنة لرالف، الذي يعتقد أن من حقه اللعب بمصير كل من يقترب منه.
جلست أليس على سريرها وهي تتن أنها حددت موعداً لبول للقيام كعادتهما بنزهة الصباح على ظهور الخيل، وأن هذا الموعد قد اقترب. هذه الجولة ستفيدها في الهرب قليلاً من الجو الكئيب الذي يسود القصر. كما أنها ستنتهز الفرصة لوضع قيود مشددة على تصرفات بول معها في المستقبل خلال فترة وجودها في فرنسا.
أخذت حماماً سريعاً، وارتدت على عجل ملابس بسيطة لركوب الخيل، وأخذت طريقها الى أسفل عبر الجزء الذي يضم المطابخ، متلما فعلت في أول يوم جاءت فيه.

يا لخيبة الأمل. وهكذا أصبح ذلك الحديث الخاص مع بول أمرا مستحيلا، على ما يبدو. فان بول نفسه، الذي كان يعلو وجهه تعبير عاصف، كان يقف الى جوار أحد الخيول، وهو يراقب رالف يساعد دومينيك على ركوب صهوة فيريتي، تلك المهرة الصغيرة التي اعتادت اليس ركوبها أثناء جولاتهما. ووقف عامل الاصطبل ممسكا بلجام الجواد ميسترال لرالف. ولاحظت اليس ان أتلانتي، وهي مهرة صغيرة لم تعتد من قبل قد أعدت بالسرج لها.

فكرت لحظة في التراجع، بدون أن يحظها أحد، ثم تعثرت بعد ذلك بانها لم تكن على ما يرام، ولكن بول لمحها وتقدم اليها عبر الفناء قائلا بصوت مرتفع:

«ها أنت يا عزيزتي. أعتقد أنك لا تمانعين في أن تكون لنا صحبة؟»

شعرت بالحرج خاصة بعد ان لمحت ابتسامة ساخرة على وجه رالف قالت في حدة: «ليس لي أنا أن امانع أم لا، فهي في كل حال خيول أخيك، وله الحق في امتطائها وقتما يشاء.»

قالت دومينيك التي كانت ترتدي ثياباً غاية في الأناقة لركوب الخيل: «أي طريق سنسلك يا رالف؟»

«طريق النهر، انه الطريق الذي اعتدنا على التريض فيه، أليس كذلك يا بول؟»

اشتعلت في أليس رغبة التحدي. انها لم ترغب في هذه الصحبة، فلتترك على الأقل لاختيار طريقها

للتريض. صاح بها بول في نفاد صبر: «هيا يا أليس، أسرعي.»

«سوف ألحق بكم بعد أن أعد الجواد.»

ابتسمت لنفسها وهي ترى بول يتقدم وخلفه مباشرة رالف ودومينيك يخرجان من ساحة الاصطبل.

انتظرت الى أن ابتعد صوتهم، وسارت بجوادها الى الخارج. كان هناك طريق ترابي ضيق محاذ للقصر، وسارت فيه برغم ما بدا على جوادها من توتر لعدم مصاحبة الخيول الأخرى.

شعرت بانها عادت الى طفولتها من جديد وهي تتجول بين أشجار الغابات المحيطة بها. وتساءلت في خبث عما اذا كان الآخرون قد لاحظوا غيابها الآن. ومن سيكون أكثرهم غضبا، رالف ودومينيك اللذين يرغبان في أن يكونا بمفردهما، أم بول؟ بدا الطريق مغطى بالعشب، ولكنها أقنعت جوادها بالعدو خلاله. شاهدت أليس مجرى مائيا وأدركت أنها هي أيضا تسير في طريق النهر وان كان في طريق يعلو كثيرا عن الآخرين.

توقفت عن العدو بجوادها، وسارت على مهل وهي تحاول إعادة لجام الجواد الى وضعه الطبيعي. في ذلك الوقت فقط سمعت أصوات وقع خطوات ميسترال التي لا تخطئها تأتي من الطريق نفسه الذي جاءت منه لتوها. صاحت في خيبة أمل: أوه، كلا. اعتقدت أن بول بعد أن شعر بغيابها أتى للبحث

عنها، مثلما يفعل أي خطيب في مثل هذا الموقف.
أوقفت جوادها عند أحد المنحنيات لتنتظره.
ولكن الذي ظهر لم يكن بول، ولم يكن ثمة شك في أن القادم على الجواد ليس سوى رالف الذي بدا على ظهر جواده رمزا للرشاقة وقوة العضلات.
أصيبت أليس بالذعر، ما من شيء في الوجود يجبرها على أن تصبح على انفراد معه مرة أخرى، لكزت جوادها لكزة عنيفة جعلت الجواد يعدو على غير هدى.
نادى عليها بصوت لا يمكن اغفال نبرة التهديد فيه، لكنها حثت جوادها على العدو بصورة أسرع.
لقد قررت الفرار، ان كل همها أن تفوز، تبتعد عنه بصورة كافية حتى يمكنها الاختفاء بين الأشجار، وهي تأمل أن يحل في النهاية التعب برالف ويتوقف عن البحث عنها.
شاهدت أمامها انحناءة حادة على الطريق، وأدركت وقد بلغ بها التعب أشده وأخذت تتنفس بصعوبة، أنها بمجرد أن تدور حولها، فانها ستختفي عن الأعين للحظات.
وما ان بلغت تلك الانحناءة، حتى فوجئت بعد فوات الأوان بوجود شلال من المياه يسقط عند أرض صخرية منحدرة. اطلقت صرخة حادة، وصهل الجواد مهتاجا. ولم تدر الا وهي تسقط فوق الصخور والمياه تحيط بها من كل جانب.

لم تشعر بينما تفتح عينيها، إلا والعالم يدور في رأسها المتصدع، وحدقت فيما حولها في حيرة، وهي لا تعي إلا بالآلام والكدمات في جانبيها، وبأن ملابسها مبتلة ويغطيها الوحل. شعرت أيضا بتقرحات مؤلمة في وجهها واكتشفت عندما رفعت يدها لتحسسه انه هو الآخر يعلوه الوحل، في الوقت الذي بدأت دموع الألم والرثاء لنفسها تتجمع في مقلتيها، كان رالف يتسلق حافة الجدول وهو يمسك بيده منديلا مبللا بالماء.
أغمضت عينيها على الفور، وتظاهرت بأنها ما زالت غائبة عن الوعي. لم تكن على استعداد بدني أو عاطفي للمواجهة معه. كانت تشعر به واقفا أمامها، جاثيا على ركبتيه الى جانبها. كانت تحس بدفء جسمه وهو ينحني عليها، وبرائحة عطره تنفذ الى أنفها.
أطلق تنهيدة، وشعرت بالتوتر يدون وعي منها، وهي تدرك أنها بتصرفها الأحمق، وضعت نفسها تحت رحمته مرة أخرى. تمتم قائلا «هيا يا جميلتي النائمة، حان وقت الاستيقاظ.»
وشعرت، أن تنفسها يزداد سرعة، وشوقها الى نراعيه يتكاثر وبدلا من ذلك انسابت المياه على وجهها عندما بدأ في عصر منديله.
هبت أليس جالسة وهي تنثر المياه عنها بغضب:
«أيها المتوحش! لقد أوشكت أن تغرقني.»

www.liilas.com

«استعدت وعيك. لقد كنت بالفعل على وشك الغرق، ولكن ليس بسببي.»

كانت هناك نبرة صدق في صوته، وحدقت فيه قائلة:

«هل سبقطت بالفعل... هناك؟»

«تقريبا. ولحسن الحظ أن بعض الأغصان أوقفت انحدارك الى أسفل. واستطعت ان أسحبك في الوقت المناسب قبل أن تسقط بك الأغصان. والآن، هل لك ان تشرحي لي السبب في ذلك السباق الذي كنت تخوضينه، ولماذا وجدت أنه من الضروري المخاطرة بحياتك وحياة هذا الحيوان الثمين الذي لا تملكينه.»

«أوه، انه اتلانتي.»

نظرت حولها، وشعرت بالارتياح لرؤيتها الجواد سالما وقد ربط وثاقه الى شجرة مجاورة بجانب ميسترال يأكلان العشب في هدوء. قال وهو يقلدها في وحشية ومضة الغضب بادية على وجهه: «أوه الجواد! كيف جرؤت على هذا العمل! لقد سمعتني وأنا أصيح بك كنت أحاول تحذيرك. اننا جميعا نعرف خطورة هذا الطريق. وأنت لا تعرفين عنه شيئا. ومع ذلك فقد سرت فيه وكأن شياطين العالم كله تطاردك.»

«ربما كنت أعتقد ذلك.»

«أنت تعتبرينني شريرا! اذن أهلا بك في قبضتي.» جذبها اليه بقوة، حاولت مقاومته. أمسك بيديها

ووضعهما خلف ظهرها ودفعها فوق العشب. أطلقت صرخة بسبب شعورها بالألم من ناحية، وكنوع من الاحتجاج على اصراره على تقبيلها من ناحية أخرى. كان يبدو وكأنه يرغب في تلقينها درسا لن تنساه مدى الحياة.

كلما اقترب جسمه منها، كانت تشعر بمقاومتها تتهاوى تحت وطأة الرغبة. أحست بجسمه يصيبها بشيء أشبه بالصدمة الكهربائية. أطلق يديها وكأنه يؤكد لها استسلامها الكامل له. أفاقت فجأة من استسلامها على ذلك الابتسامة وما تنطوي عليه من شعور بالانتصار.

هذا هو كل ما يعنيه، تحقيق انتصار صغير في تلك الحرب التي يخوضها مع بول. دفعته بكلتا يديها، وأسرعت بالتقلب على العشب بعيدا عنه برغم ما تشعر به من ألم. يجب ألا تدعه يدرك الى أي مدى كانت على وشك أن تصبح ملكا يديه تماما. قالت من بين دموعها التي جاهدت لإخفائها:

«أعتقد أنك تماديت كثيرا يا سيدي. أليس كذلك؟ لم أعلم أنك ما زلت تفكر في حق السيد في عصر كعصرنا هذا!»

هبت واقفة على قدميها وهي تزيح الوحل والعشب من فوق ملابسها في محاولة لاخفاء إرتعاش يديها. أحست بنبضها يهدأ، واجتاحها شعور بالغثيان. حدقت في الأرض انتظارا لتوقف هذا الاحساس.

وقف رالف، ولكنه لم يحاول الاقتراب. رفعت اليه عينيها لتقابلهما نظرة الاحتقار في عينيه مثل اللطمة. قال بصوت قاسي: «انك مخطئة يا آنسة. ان حق السيد يحتفظ به فقط للعذارى، في ليلة زفافهن.»

كانت على وشك أن تتقدم لتوجه له صفعة، إلا ان الشعور بالعثيان عاودها من جديد. خطت خطوتين الى الأمام، ثم غابت عن الوعي تحت قدميه تماما.

أفاقت اليس على صوت ماغي تقول: «حسنا.»

كان الطبيب يفحصها منذ لحظات، وقام بالعناية بالاصابات والكدمات واعطاها بعض المهدئات وقال انها تعاني من صدمة عصبية حادة.

ومع ذلك أدركت اليس أن ماغي لن يمنعها شيء من استجوابها، سواء كانت تعاني من صدمة عصبية أم لا.

«كان لي حديث اليوم مع السيدة ديجون. انها تتحدث عن خطبتك لبول وتتساءل عن الموعد المناسب لاقامة حفل بهذه المناسبة.»

«أوه، كلا!»

«ان ذلك بالفعل ما حدث. ولك أن تتصوري شعوري حينئذ. لقد تعللت بأن لدينا عملا كثيرا نقوم به، وأبديت أعذارا أخرى مختلفة. كما أنني قلت لها انني أشعر بأن الامور لا تبدو مستقيمة في علاقتك ببول. وأي إعلان رسمي لخطبتكما سيكون أمرا سابقا لأوانه.»

«وماذا كان ردها؟»

«يبدو أنها بدأت ترتاح لفكرة أن تكوني زوجة لابنها.»

بكت اليس، وجلست ماغي الى جانبها على حافة الفراش وأمسكت بيدها قائلة: «البكاء لن يفيد، والآن، أريد تفسيرا لما حدث هذا الصباح. لقد دخل علينا رالف وهو يحملك بين ذراعيه، لقد ظننت أنك فقدت وعيك على الأقل.»

«ليتني مت حقيقة.»

«كلام فارغ، ولكنني جدة يا عزيزتي، ما الذي جعلك تخرجين تلك المخاطرة البغيضة؟ ماذا كنت أقول لوالديك لو أن مكروها حدث لك؟»

«لم أكن أدري أن هناك مخاطرة.»

«أليست مخاطرة أن تتحدي رالف في سباق على أرض لا تعرفينها؟ كنت اظن أنكما أعقل من ذلك، وأن لديه شعورا بالمسؤولية أكثر من ذلك.»

رفعت اليس يدها لتتحسس الصداع العنيف في رأسها. ما هذا الذي تقوله ماغي. أن يلقي رالف على نفسه بمسؤولية ما حدث؟ انها لا تستطيع تصديق أنه يفعل ذلك، بعد تجربتها في معاملته لها.

واصلت ماغي حديثها قائلة: «لقد عنفته والدته على ذلك، انني لم أرها في مثل هذا الاضطراب من قبل. وبعد ذلك عاد بول وتومبيك ليسألا عما حدث. عندئذ انسحبت أنا في هدوء.»

www.liilas.com

انحنت ماغي واقتربت كثيراً من أليس وقالت: «هل تشعرين بالاضطراب يا طفلتي؟ تبدين شاحبة للغاية. هل أسدل لك الستائر لتنامي قليلاً؟»

وافقت أليس بوهن. وفي الواقع لم تكن تشعر بأي رغبة في النوم، ولكنها شعرت بحاجة مفاجئة للانفراد بنفسها.

عندما غادرت ماغي الغرفة، تركت أليس لدموعها العنان. انها تسترجع في خجل كل لحظة مرت فيها مع رالف في الغابة. كيف ترغب فيه الى هذا الحد، في الوقت الذي يبدو احتقاره لها واضحاً؟ ألا يدخل الكرامة أبداً في علاقتها به؟ كانت تذوب شوقاً بين يديه.

بذلت جهداً لتجمع أفكارها. قبل كل شيء يجب ان تعترف بأن رالف يثير رغبتها بطريقة لم تحدث مع أي رجل آخر. وثانياً، يجب انهاء خطبتها المزيفة ببول. فلم تكن لتشعر بالذنب إزاء تفكيرها برالف. انها لم تعطه أي سبب يجعله يشعر نحوها بالاحترام، حتى في أول لقاء لهما. ان الحقيقة المرة هي أنها لا تقوى على السيطرة على نفسها طالما كان بالقرب منها. ولم يكن ذلك ليحدث مع بول، الذي كانت تعتقد أنها تحبه، ولذلك كان دائماً ما يتهمها بالبرود.

وأخيراً، يجب عليها أن تفر من هذا القصر في أسرع وقت ممكن، وبصورة تحفظ فيها ماء وجهها. فالكتاب الذي تعمل فيه ماغي قارب على الانتهاء،

مما يسمح بالعودة الى لندن، خصوصاً وأن أليس تشعر أنه ليس من الصعب اقناع ماغي التي تعلم الآن حقيقة الموقف.

تناولت أليس أحد الأقراص التي وصفها الطبيب، رغبة في أخذ قسط من النوم فلربما تمكنت من التفكير بهدوء في مخرج من تلك الفوضى التي جلبتها لنفسها.

ولكنه كان نوماً متقطعاً، تخللته أحلام غريبة ومشوشة. في أحد هذه الأحلام، كان رالف يقف الى جوار سريرها، وهي تمد اليه يدها في يأس، تناشده بدون كلام أن يريحها بلمسة من أصابعه. ولكنه يتراجع الى الوراء، بقامته الفارهة كلما زادت حاجتها اليه. وبرغم تلك الاحلام فقد شعرت بالانتعاش قليلاً عندما استيقظت من نومها.

سمعت طرقاً على الباب، وأذنت للطارق بالدخول اعتقاداً منها بأن الطارق ربما كان السيدة ماريت أو واحدة من الخدم، ولكن كان وجه هايدي الصغير هو الذي أطل عليها من فتحة الباب. جلست على الفور مرحبة بها. تقدمت منها هايدي ببطء وتردد، وعلى شفتيها ابتسامة خجلة وهي تحمل كتاباً. قالت الفتاة بقلق: «هل أيقظتك؟»

«على الأطلاق. بل يسعدني أن أستقبل الزائرين. انه كتاب لطيف. هل اعطاك والدك اياه؟»

«كلا، بل أحضرته لي عمتي آن ماري من باريس في

آخر زيارة لها هنا. جدتي تقول لي دائماً ان مشاغل والدي تمنعه من الاهتمام بشراء أشياء للفتيات الصغيرات.»

قالت أليس في نفسها: أي أب له طفلة وحيدة يتيمة مثل هايدي يجب ان يكرس لها جزءاً من وقته. ان هناك خطأ جسيماً في علاقة هايدي بأبيها. انه ليس بالرجل المتحجر العاطفة، اذن لماذا يتسم تصرفه تجاه ابنته الوحيدة بهذا البرود؟

قالت ببشاشة قابلتها الطفلة بابتسامة كاشراق الشمس بعد المطر وهي تحدق نحو سريرها وتتكور الى جانبها:

«هيا يا هايدي اقرأي لي في هذا الكتاب.»

كان كتاباً يضم بعض القصص الخيالية المصورة للصغار وحكاية سندريللا هي قصة هايدي المفضلة. عندما انتهت من قراءتها، بدأت أليس تحكي لها عن أيام طفولتها في المدرسة وكيف أنهم قاموا بتمثيل حكاية سندريللا في أحد الاعياد.

سألتها الطفلة: «وهل قمت أنت بدور سندريللا؟»

«كلا، كنت أؤدي دور إحدى الشقيقات القبيحات.»

«ولكنك لست بقبيحة.»

«أشكرك على هذه الثقة.»

توقفت أليس عندما سمعت طرقاً آخر على الباب. وبدأت أعصابها تتوتر وهي ترى رالف ديجون يدخل الى الغرفة.

أدركت أليس على الفور أنه لا ينظر اليها، بل الى الطفلة الجالسة الى جوارها.

قال ببرود: «ماذا تفعلين هنا هايدي؟ أليس هذا وقت وجودك مع الآنسة فيرود؟»

قالت الطفلة وهي تقلب شفتيها بتمرد:

«انني لا أحب أن أكون معها. فهي دائماً غاضبة، ودائماً تشكو من الصداع، أود أن أظل هنا مع أليس.»

«الآنسة فيرود هي معلمتك، وهذا الوقت من النهار مخصص لدروسك. هيا اذهبي فوراً. كما ان صحة الآنسة فيرفاكس ليست على ما يرام ويجب ان تستريح، وأنت لا تمنحينها تلك الراحة.»

همت أليس بنفي ذلك، ولكن هايدي سبقتها الى الحديث.

«لا أحب ان تكون لي معلمة خاصة. عندما كانت أليس صغيرة كانت تذهب الى المدرسة حيث كان لها أصدقاء تلعب معهم. أما أنا فليس لي أي أصدقاء.»

وبدأت الطفلة في البكاء.

أشار والدها في حركة آمرة الى الباب وقال: «اذهبي.»

ذهبت هايدي وهي تجر قدميها. كانت تبدو بائسة للغاية. راقبتها أليس وهي تذهب، وتحولت الى رالف في رجاء:

www.liilas.com

«أرجوك لا تغضب منها. أعتقد أنها كانت غلطتي أنا، أن أحدثها عن أيامي في المدرسة. كنت سعيدة في المدرسة، وكما ترى، فمن الواضح أنها غير سعيدة.»

«كانت تشعر بالرضى من قبل.»

قالت اليس لنفسها بغضب انه يعني قبل إن تراني، ثم تحولت اليه قائلة:«ولكن ذلك ليس كافيا يا رالف، أن تشعر طفلة في مثل سنها بمجرد الرضى. بل يجب أن تكون مفعمة بالسعادة، وان يكون كل يوم مغامرة بالنسبة إليها ولكن انظر اليها بالفعل.»

«ولكني أنظر اليها بالفعل.»

«وماذا ترى؟ انها مجرد امتداد لشعورك بالكبرياء، ولتقاليد العائلة. انها مجرد طفلة تعيش وتتنفس، طفلتك أنت يا رالف والتي يبدو لسبب مجهول أنك لا تحبها.»

كانت تتحدث اليه برجاء. ولكنها كانت تدرك أنها تجاوزت حدودها، وبدأت تنتظر وقوع الصواعق عليها. ولكنه عندما تحدث كان صوته باردا ببرود الثلج.

«اسمحي لي ان اذكرك بان وضعك في هذه الأسرة لا يعطيك حق التدخل في شؤوني، خصوصا في علاقاتي الشخصية.»

«انني آسفة.»

ولكنه كان قد توجه بقامته الطويلة نحو الباب ولم

تصدر منه أية اشارة الى أنه قد سمع اعتذارها. عندما أصبحت وحيدة في غرفتها، كاد يغلبها الشعور بالبكاء. كانت تعترف بخطئها في الحديث الى رالف عن مثل هذه الأمور. إلا انها لم تستطع كبح الشعور بالغضب الذي يتملكها عندما ترى معاملته الجافة لابنته.ربما كانت تلك المعاملة ترجع الى شعوره بالحزن ازاء رحيل زوجته المفاجيء. وربما هايدي تذكره بحياته معها.

شيء واحد هي على ثقة منه، وهو انها لن تسمح له أن يؤثر على ابنتها التي وجدت أنها في حاجة ملحة للاهتمام والعطف. فقد بدا لها أن الطفلة متعطشة للحب، الذي لا يروي ظمأها له تلك اللحظات القليلة التي تقضيها مع جدتها. وصممت اليس على أن تهتم هي بها طالما أن أحدا آخر لا يفعل ذلك. وان كانت تدرك ان ذلك لن يكون إلا بصفة موقتة خلال وجودها هنا.

وشعرت اليس أن أهم شيء تفعله على الفور، هو أن تؤكد لهايدي أن طرد والدها لها من الغرفة لا يؤثر على علاقتهما في كثير أو قليل. وتنفيذا لذلك القرار، توجهت عصر ذلك اليوم، الى غرفة الدراسة لتتحدث مع الآنسة فيرود.

وأول شيء لاحظته من فورها أنه برغم دفء الجو، فان نوافذ الغرفة كانت مغلقة. كانت فيرود تجلس الى طاولة صغيرة منشغلة في قراءة كتاب، أما

هايدي فتجلس في مواجهتها وبين يديها قطعة من أشغال الابرة.

دخلت أليس الغرفة وعلى شفتيها ابتسامة. قالت انها في طريقها الى الحديقة الصغيرة لاقتلاع بعض الحشائش وأنه يسعدها إن تكون معها هايدي لمد يد المساعدة. وقالت تأييدا لموقفها بعد أن لاحظت ان فيرود قطعت قليلا «سيكون ذلك درسا مفيدا لها في علم النبات.»

«اذن لا بأس، ولكن أرجو منك يا آنسة ألا يكون في ذلك إرهاق للطفلة أو تعريضها لضربة شمس.»

ألقت هايدي تطريزها جانبا وهبت واقفة. وأخذتها أليس الى خارج الغرفة وقد تشابكت ايديهما.

أمضت أليس نحو نصف الساعة وهي تشرح لهايدي، التي كانت في البداية تقتلع كل ما يصادفها من حشائش، الفرق بين النباتات النافعة والحشائش الضارة. كانت الطفلة سريعة التعلم والالتقاط وسرعان ما أزالتا كل الحشائش الضارة من أحد أركان الحديقة.

جلست أليس القرفصاء وألقت نظرة على ما أنجزتاه من عمل، وقالت: «عمل لا بأس به على الاطلاق.»

قالت هايدي بمرح: «لقد أصبحت خبيرة في أمور الحدائق، أليس كذلك؟»

التقطت أليس قبضة صغيرة من الحشائش وألقتها نحو هايدي وهي تلهو. وعلى الفور، ردت هايدي

بالقاء قبضة أخرى من الحشائش وضربت بها أليس في كتفها. التفتت اليها أليس، ورأت في عينيها نظرة رعب وانتظار لرد فعل إزاء أول بادرة لها للهو المنطلق بدون قيود.

شعرت أليس تجاهها بالشفقة. قامت نحوها وهي ترفع كمميها وقالت لها مداعبة: «هكذا اذن! لن تفلتي من يدي.»

هبت هايدي واقفة تعدو هربا، وأليس وراءها تعقبها في ممرات الحديقة، تقفزان في مرح الى الأمام والى الوراء حول أحواض زهور الياسمين.

كانت هايدي تقهقه، وخصلات شعرها تتسدل على وجهها في تمرد، ووجهها يعلوه التراب. لحقتها أليس وأمسكت بها، وارتمت الطفلة على الأرض، أخذت أليس في دغدغتها.

وفجأة، كانتا قد أصيبتا بموجة تلجية، جاءهما صوت يقول باحتقار: «ما هذه الحماقة!»

كانت دومينيك تقف عند بوابة الحديقة تراقبهما وقد علا وجهها التجهم. توقفتا على الفور عن المرح والضحك. ووقفت هايدي تفرك يديها في قلق. شعرت أليس هي الأخرى بالضيق وهي تعقد مقارنة بين سروالها الذي يعلوه تراب الحديقة، وبين ثوب دومينيك الحريري العاجي اللون والوشاح الوردي الذي تعقده حول عنقها.

قالت دومينيك ببرود: «منذ متى وأنتما على هذا

اللهو؟ هايدي، ان جدتك تبحث عنك هيا اذهبي اليها بعد أن تصلحي من شأنك.»

كانت أليس تشعر بأن قلب الجدة سيطير فرحاً، لو أنها رأت هايدي على حالتها المشعثة تلك، ولكنها كانت عازفة عن الدخول في صراع مع دومينيك أمام الطفلة. وهكذا ربتت على ظهر الطفلة وقالت: «هيا اذهبي الآن يا حبيبتي، ولا تنسي أن تغسلي يديك جيداً.»

أطاعتها هايدي، وأسرعت بالذهاب، وتركت أليس وحيدة مع دومينيك، التي شعرت في تلك اللحظة بأنها لا تصل الى مستواها في أناقتها المفرطة.

أخرجت من جيب سروالها شريطا من البلاستيك وربطت به شعرها المشعث الى الوراء، كل ذلك ودومينيك تنظر اليها باحتقار. وجهت حديثها الى دومينيك، وحاولت جهدها أن تكون رقيقة: «لم أكن أعلم أنك ما زلت هنا يا آنسة.»

«حقاً؟ انني ألحظ أنك لم تضيعي وقتاً في محاولة جعل نفسك أحد أفراد العائلة. حسناً، افعلي ما شئت، ولكنك ستظلين دائما دخيلة. لقد شهد هذا المنزل ما يكفي من الزوجات الانكليزيات. لماذا لا تنهين أعمالك وتعودين الى لندن الى حيث تنتمين.»

«لست دخيلة في نظر الجميع، ثم أنني سأكون فردا من العائلة حين يعقد قراني على بول.»

«هل تعتقدين حقيقة أن رالف سيسمح لك بالزواج

من بول؟ انه يعلم أي نوع من النساء أنت. فيكتوار أخرى في العائلة! ان ذلك لكثير.»

تجمدت أليس تحت وقع الهجوم. فيكتوار أخرى؟ ماذا تعني دومينيك بذلك؟ اقتربت منها دومينيك أكثر وقالت:

«يجب عليك ألا تعتقدي أن بوسعك اكتساب رالف الى جانبك بمحاولة اثارة مشكلة حول هايدي. فمن الحماقة أن تظني انه يهتم بها فهي ليست سوى أثر يذكره بأسوأ غلطة ارتكبها في حياته.»

«ابنته؟»

«تماما أيتها الحمقاء الصغيرة. انها ليست طفلته على الاطلاق. لقد قالت له فيكتوار ذلك بنفسها.»

حملقت فيها أليس في لحظة مليئة بالهلع. ثم أخذت تعدو وهي تصم أذنيها، عائدة الى القصر.

www.liilas.com

الفصل السابع

وقفت أليس بجوار النافذة تدق بأصابعها بقلق على زجاجها. هل من الممكن أن يكون ما ذكرته دومينيك من أقوال فظيعة صحيحا ؟ان ما زعمته يوضح، بدون شك معاملة رالف الغريبة لهايدي. واذا كان ذلك صحيحا، فما أهول ما تكشفت عنها هذه المزاعم من قبح وبؤس.

ان ما قالته دومينيك يوضح أشياء أخرى أيضا، من بينها ملاحظات رالف حول احتمال تعرض حياة بول للدمار اذا ما استمرت علاقتهما. ان موقفه هذا من بول موقف مفهوم، من خلال ما تعرض له هو نفسه من تجربة زواج فاشل.

ومع ذلك، فليس من حقه أن يظن بها الظنون، يجب ان يظل غضبها منه مشتعلا. فمن الخطورة بمكان أن تسمح للمشاعر الخادعة مثل العطف والأسى تجاهه أن تتسلل اليها. ثم، كيف يمكنه أن يعامل هايدي على هذا النحو، وهي قبل كل شيء، الطفلة البريئة تماما.

وتذكرت كيف وجهت له هذا الصباح بالذات اتهاما بأنه لا يحب ابنته كما يجب أن يحب الأب ابنته. لا بدّ أن كل كلمة منها كانت بمثابة طعنة له، فلا عجب

اذن من رد فعله الغاضب! بل الأعجب أن يتمكن من السيطرة على نفسه مثلما فعل.

دخلت ماغي الغرفة وقالت مبتهجة:«لدّي أنباء طيبة. لقد حضرت أن ماري.»

قالت أليس في ابتهاج حقيقي لرؤية أن ماري مرة أخرى، برغم ما كانت تشعر به من اضطراب في داخلها:

«هذا شيء رائع! متى وصلت؟»

«منذ نحو ساعة على ما اظن. لقد اصطحبت معها، فتاة رقيقة اسمها نيكول وهي ابنة عم لهم على ما اعتقد.»

ثم اردفت وهي تتنهد:«لو أن دومينيك رحلت عنا، لكان جمعا عائليا رائعا. ولكن ليس لدّي أمل في أن يحدث ذلك. انها تلتصق بالمكان الى أن يتم لها اختطاف رالف.»

«هل تعتقدين أنه سيتزوجها؟»

«أعتقد أن ذلك ممكن. فهناك عدد من النقاط في صالحها، كما تعلمين. فالعائلتان لهما الاهتمامات العملية نفسها كما انهما يعرفان بعضهما البعض منذ أعوام. وقد ألمحت لي السيدة ديجون أن زواج رالف الأول كان زواجا عاطفيا عاصفا، ولذلك فقد يكون عازما في المرة الثانية الخروج عن قوقعته العاطفية تلك، ويكتفي بزوجة جميلة تعرف كيف تقوم بواجبات سيدة المجتمع.»

www.liilas.com

كانت نيكول فتاة رشيقة سمراء، وشخصية هادئة على خلاف شخصية ان ماري. وتاك لاليس أن ذلك التناقض عامل هام في نجاح حياتهما معا في شقة واحدة في باريس. وتذكرت صديقتها جيني التي تستعد حاليا للزواج من روجر وهي تشعر بالأمان والسعادة.

لقد كانتا تعيشان حياة بسيطة وغير معقدة قبل أن يدخل حياتهما الأخوان دبجون.

ولقد أدهشها أن تعلم من أن ماري أن نيكول برغم ما يبدو عليها من هدوء، تتمتع بموهبة تصميم الملابس الأنيقة، وأنها تعتبر من أفضل العاملين في هذا المجال في بيت فونتين في باريس. ولقد أثار دهشتها بشكل أكبر أن تعلم من أن ماري أن نيكول هي صاحبة تصميم باشانت الذي شاهدته في لندن في تلك الليلة التي لا تنسى لأول لقاء لها مع رالف.

قالت أليس في مندهشة وهي توجه حديثها الى نيكول: «كان في غاية الروعة!»

شكرتها نيكول وتمتمت شيئا غير مفهوم. قالت أن ماري: «انها متواضعة للغاية. ولقد نال هذا التصميم الاعجاب. أعتقد أن ذلك كان يرجع الى مجيء الربيع بكل ما يعنيه. فالكل يشعر بالأمل في وقت الربيع، وأرادت نقل مشاعر الأمل والرغبة تلك.»

قالت أن ماري باصرار: «يجب ان تجعلي أليس ترى بعض تصميماتك الأخرى.»

ثم توجهت بالحديث الى أليس: «هناك تصميم يناسبك وكأنه ابتكر خصيصا من أجلك.»

«لا تقولي انه تصميم منتصف الليل.»

ظهر على وجه نيكول الدهشة وقالت: «هذا صحيح. لقد فكرت في ذلك بمجرد رؤيتي لك. ولكن كيف عرفت؟»

«لقد شاهدت نموذجاً منه.»

تذكرت أليس في تلك اللحظة اللفافة التي خبأتها في خزانة الملابس على عجل، وشعرت بالدماء تشتعل في وجهها. خاصة وأن رالف دبجون الذي كان يجلس على الأريكة يتحدث مع دوميفيك لا بد من انه سمع جزءا من حديثهن على الاقل.

قالت نيكول: «سوف أعمل خلال الأيام القليلة المقبلة في الاستديو بعمل خاص عهد به الى رالف. ويسعدني أن تشاهدي بعضا من منتجاتنا.»

شعرت أليس بأن هناك نوعا من التحفظ في تصرفات نيكول. ترى هل يرجع ذلك الى ان نيكول لا تحبها؟ كلا بالتأكيد. فلم يكن هناك ذلك العداء الذي شعرت به تجاه دوميتيك. ولكن هناك شيئا لا تستطيع أليس ان تضع اصبعها عليه فيما يتعلق بتحفظ نيكول تجاهها. قالت ترد على دعوتها بحماسة:

«شكرا لك. يسعدني كثيرا أن أرى تصميماتك. ولكن أين يوجد هذا الاستديو الذي أشرت اليه؟»

قالت أن ماري: «ألم يخبرك عنه بول؟ ولكن ذلك أمر

طبيعي منه انه لا يهتم كثيراً بأعمال فونتين هذه الأيام. ان الاستديو موجود هنا. لقد أسسه جدي ليعمل فيه بهدوء. وكانت جدتي دائما تشاركه في وضع التصميمات التجريدية. أما جدتي فكانت تحب الزهور وأوراقها، أي كل الأشياء النضرة والبسيطة مثل حديقتها.»

«أتمنى أن أراها.»

«بالطبع سوف تقابلينها عندما تعلن خطوبتك على بول. أتوقع أن يأخذك الى الكنيسة لتقابلها. اذا صحتها لا تحتمل السفر في هذه الأيام.»

تمتمت اليس قائلة: «بدون شك.» وعاد اليها ذاك الاحراج من جديد. لاحظت على وجه نيكول وفي عينيها ألما خفيفا أخفته سريعا تحت ستار تحفظها في تلك اللحظة. وردت في خاطر اليس فكرة خاطفة وكأنما أضيئت فجأة غرفة مظلمة، بالطبع، ان نيكول تحب بول. وهذا سبب تحفظها معي. لا بد اذن أنني أسبب لها عذابا كبيرا.

خطرت لاليس فكرة إبلاغ نيكول بالحقيقة عندما تكونان على إنفراد، ولكنها تخلت عن تلك الفكرة. وقررت بأن اخراجها من تلك الورطة تقع على عاتق بول. كما انه سيكون من الخطأ ان تتدخل في الوقت الذي لا تعلم فيه شيئا على الاطلاق عن مشاعر بول تجاه نيكول.

ان بول بالتأكيد أصبح شخصاً يختلف تماماً عن

ذلك الشاب المرح الجذاب الذي كان يصاحبها في لندن. ربما كان من حسن حظها أنها لم تتورط معه أكثر من ذلك. وإلا لوجدت نفسها الآن في موقف لا تحسد عليه. ما بين نيكول ودومينيك. ويبدو أن كلا منهما تعتقد أنها أحق بمشاعره وحبه.

قالت لنفسها: ان نيكول تناسبه تماما، وهي الانسانة التي يمكن ان تفعل منه شيئا.

وتذكرت فجأة شيئا قالته جيني مرة، ان حالة الحب التي يمر بها الانسان، تجعله أكثر تفهما للمشاكل العاطفية للآخرين. ان ذلك يبدو منطبقا تماما مع حالتها. وشعرت أن الالم يعتصر قلبها من هذه الفكرة.

استأنفت أن ماري الحديث: «ان صحة نيكول المسكينة ليست على ما يرام في الأيام الأخيرة. وهكذا أصدر رالف أوامره بأن تأخذ فسحة من الراحة هنا لمدة اسبوع أو اثنين.»

قالت نيكول بنبرة تنم عن مشاعر حب حقيقية:

«ان رالف يقدر دائما الظروف.»

قالت آن ماري ضاحكة: «انه دائماً يقدر الأشياء الثمينة التي في حوزته.»

أحست اليس بالحزن فجأة. انه يفكر دائماً ويتعاطف مع الاخريات، وشعرت بالم أنه لم يكن ليبدي احتقاره لها بشكل أكثر وضوحا من ذلك.

في تلك اللحظة انضمت اليهن دومينيك. كانت

www.liilas.com

كعادتها ترتدي ثياباً أنيقة ويسبقها عطرها الفواح. قالت بعد ان أومأت في برود لكل من أليس وآن ماري:

«مساء الخير يا نيكول. يا لها من مفاجأة! لم أكن أتوقع رؤيتك هنا في هذا الوقت بالذات.»

ساد الصمت، وأحست أليس بوجهها يشتعل غضباً. كان واضحاً ما تعنيه دومينيك بذلك. خطبتها المزعومة لبول. كما كان واضحاً أيضاً أنها تحاول متعمدة أن تجرح مشاعر نيكول.

لم يكن من الصعب على أليس أن تتأكد من مجرد إلقاء نظرة على وجه نيكول والشحوب الذي بدا عليه، وتلك النظرة القاتمة في عينيها، صدق حدسها بمشاعر نيكول تجاه بول.

وردت نيكول برقة وكبرياء: «لمن دواعي سعادتي دائماً أن آتي الى سانت دينيس. فانني اعتبره دائماً بمثابة بيتي الثاني.»

قالت أليس لنفسها: أحسنت يا نيكول بهذا الرد. ولكن دومينيك لم تكن قد فرغت منها بعد، فالت بهدوء وهي تصلح من ردائها:

«ولكن للأسف، هناك وقت يجب على الانسان فيه ان يغادر بيته اذ يجب علينا الا نستغل كرم ضيافتهم.»

لم يكن هناك ثمة شك فيما تعنيه. انه ليس هناك مكان لنيكول في المنزل، ما أن تصبح له سيدة سواء

أكانت زوجة رالف أم زوجة بول. لم تشك أليس للحظة في أن دومينيك تستمتع بلحظات انتصار على من كانت في وقت من الأوقات بمثابة منافس لها. ومما زاد من تعاسة الموقف أن بول دخل في تلك اللحظة وهو يحمل لفة أعطاها لنيكول التي أخذتها بكثير من التحفظ.

لم تستطع أليس أن تتحمل عذاب هذا الموقف أكثر من ذلك. وهكذا استأذنت وأسرعت بالخروج من الغرفة. عندما وصلت الى الدرج المؤدي الى أعلى، سمعت من خلفها صوتاً يقول في لهجة آمرة:

«أليس.»

كان رالف يأتي عبر الردهة حتى وصل الى الدرج ونظر اليها قائلاً: «ليست هذه هي المرة الأولى التي أراك فيها تفرين. هل لي أن أعرف ما الذي سبب لك الاضطراب هذه المرة؟»

«لست مضطربة بأي حال من الأحوال.»

«انك كاذبة. ولكن باعتبارك ضيفتي، فسوف أقبل منك ما تقولين. ولكنني سوف أنتظر الى أن يجيء الوقت الذي تشعرين فيه بأنك على استعداد لمصارحتي بمشاعرك.»

«ان كوني ضيفتك من يحميني من مطاردتك لي.»

«هذه المرة الأولى التي تجرؤ امرأة على توجيه مثل هذا الكلام لي.»

«حقاً؟ من الواضح ان نساءك الأخريات، لم تكن

www.liilas.com

لهن الجرأة للتعبير عن رأيهن، بسبب تلك المعاملة الديكتاتورية التي هي أحدى صفاتك.»

«نسائي الأخريات؟ ان ذلك يعني ضمنا، يا جميلتي، انك واحدة منهن. ولكنني لا اعتبرك حتى الآن إحدى نسائي، فان بعض القبلات لا تعني خضوعك النهائي لي، وفي أية حال فانني أفضل بريق عينيك على تلك الدموع التي رأيتها تملأ عينيك عندما تبعتك الى هنا.»

«انك تستمتع دائماً بايلامي.»

«يبدو انها متعة متبادلة.»

توقف لحظة عن الكلام، ثم مد اليها يديه قائلا:

«هيا تعالي، لنعد مرة أخرى الى غرفة الاستقبال، لا بدّ أن شيئا قالته دومينيك سبب لك هذا الضيق، على أية حال ان ذلك لن يستمر طويلا. فان السيدة ديزموند على وشك الانتهاء من عملها هنا، ولن يمضي وقت طويل قبل عودتكما الى لندن.»

«أرجو أن تعذرني هذه الليلة، أشعر بصداع عنيف، أعتقد أنني لم أشف تماما من حادثة سقوطي من فوق الجواد، وبهذه المناسبة أشكرك كثيرا على أنك لم تكشف عن حقيقة تصرفي الغبي في ذلك اليوم لوالدتك وللسيدة ديزموند، كان ذلك لطفا منك.»

«انني في خدمتك دائما. وأعلم تماما قدر الجهد الذي بذلته لتقولي هذه الكلمات التي تعترفين فيها بأنني أتمتع ببعض صفات الشهامة.»

خصوصاً وأنا أعلم تماماً تلك الشهامة تجاهي بالذات ليست سوى مظهر خادع.»

«أوه، ما كان يجب عليك قول ذلك. انني أشعر بشهامة حقيقية في هذه اللحظة. هل احملك الى غرفتك طالما أنك تشعرين بالتوعك؟ يبدو ان لدّي مجموعة من المرضى يعيشون تحت سقف بيتي في هذه اللحظة. فان نيكول ايضا ليست على ما يرام، ولكن المسكينة تعاني اساساً من حب مفقود. أما أنت فلا أعتقد ان ذلك ينطبق عليك يا جميلتي.»

تقدم منها وأمسكها بقوة من رسغها. نظر اليها بعينيه السوداوين نظرة اهتزت لها كل حواسها، وكانت نكهة سيكارته، ورائحة التظافة الدافئة التي تفوح منه قد أشعلتا مشاعرها الى الحد الذي أحست عنده أنها ستفقد الوعي شوقا اليه... قالت وهي تقاومه: «دعني وشأني.»

«أتريدين أن أراك نهارين، انك ترتعشين كورقة الشجر، ولا يصح للمضيف الكريم أن يتخلى عن ضيفه وهو في حالة مثل حالتك.» ثم قال مبتسما وهو يقترب منها أكثر: «هل أحملك الى سريرك؟»

في تلك اللحظة دخل بول الى الردهة وصاح بانزعاج: «ما هذا؟»

ومع ان اليس أحست بالارتياح لخروجها من هذا الموقف إلا انه كان يغلب عليها ايضاً الشعور بالاحباط.

www.liilas.com

كان رالف هو الأسبق بالحديث: «خطيبتك كانت على وشك الاغماء. يبدو انها ما زالت تعاني من آثار سقطتها من فوق الجواد. وقد عرضت عليها مساعدتها في الذهاب الى غرفتها.»

قال بول بقلق: «أليس، هل أنت بخير؟»

«أعتقد أنني في حاجة لبعض الراحة.»

«بالطبع يا عزيزتي.»

انحنى عليها بول وقبلها. استسلمت له في يأس، وهي تلمح تلك النظرة الساخرة في عيني رالف. وضع بول يده حول خصرها وقادها إلى غرفة نومها. عندما أصبحا وحيدين في الغرفة، حاولت أليس أن تكتشف من بول نوع مشاعره تجاه نيكول. ولكنه كان يراوغها.

«تعلمين يا عزيزتي، كيف تحدث مثل هذه الأشياء.»

«لقد بدأت أعرف.» ثم قالت بغضب: «وأنا، ماذا كنت بالتحديد، واحدة أخرى من هذه الأشياء؟»

«كلا، بالطبع، كيف تعتقدين ذلك؟ انني أحبك يا أليس الجميلة. وأقدم لك أنت قلبي وحياتي كلها.»

«انني لست سلعة تباع في السوق.»

شعرت أليس بمدى ما في قولها هذا من قسوة. انها ليست غلطة بول وحده أن يولد وله كل المزايا التي تجعله يفوق غيره من الرجال. كما أنه ليس شاباً مدللاً تماماً. فقد بدأ يهتم بوظيفته الجديدة في إدارة الضيعة وبدأ يأسف على حياته اللاهية في لندن

وباريس من قبل.

قالت بصوت أكثر رقة: «بول، أعتقد أن الوقت قد حان لتبلغ الآخرين بالحقيقة.»

«ماذا تقصدين؟»

«أقصد أن هذه اللعبة قد طالت بما يكفي.»

«ولكننا اتفقنا.»

«أجل، أعلم ذلك. ولكنني أعتقد أنها أصبحت غير ضرورية الآن. أولا لأنني أعتقد أن والدتك قد بدأت تساورها الشكوك في أنه لا يوجد شيء بيننا، ولذلك فلن تتزعج كثيراً كما أنك تأكدت أن دومينيك لم تعد راغبة فيك الآن.»

أشعل بول سيكارته بعصبية، وأدركت أليس أن ما قالته لم يتسم باللياقة. صحيح أن بول قد ينظر الى زواجه من دومينيك باعتباره قدر والموت أفضل منه، ولكن ذلك لا يعني أنها تستطيع أن تفقد اهتمامها به متى شاءت.

ما زال يشعر بالزهو بأنه ينال الاهتمام، ويود أن يثبت لنفسه أن جاذبيته للنساء لا تقاوم. وقالت أليس لنفسها: ان زوجته، أيا كانت، يجب ان تكون متفهمة تماماً لهذا الجانب فيه، وهو الشيء الذي لا أستطيع فعله.

قال بول بعناد: «حسناً. أعتقد أنه من الجنون التخلي عن هذا الأمر الآن. سنستمر فقط الى أن يقتنع رالف.»

www.liilas.com

قالت أليس وهي تواجهه بغضب «وهذا شيء آخر أود أن أحدثك فيه. وهل من الضروري أن تقوم بهذا الاستعراض العاطفي معي طوال اليومين الماضيين، وخصوصاً ما حدث على الدرج منذ فترة وجيزة؟ أود أن أذكرك أن ذلك لم يكن من بين شروط الصفقة بيننا.»

قال وهو يضحك في «ولكن ذلك لم يكن أمراً سيئاً، فقد تخلصنا به من رالف، أليس كذلك؟ وهو ما كنت ترغبين فيه.»

ثم أردف هو ينظر اليها في استغراب: لقد تغيرت يا أليس. لست انت الفتاة التي عرفتها في لندن. وانني لأعجب أين ذهبت؟ ولمن تراها أعطت قلبها. اذا لم تكن قد أعطتني إياه؟»

«لا اعتقد أن أياً منا قد تغير حقيقة يا بول. وأعتقد أن قضاء هذا الوقت معاً كانت له فائدة واحدة على الأقل. فقد أثبت لكل منا أننا لا نصلح لبعضنا البعض. ربما لم يكن ذلك هو هدفنا الأساسي في البداية ولكن...»

قال وقد بدا عليه الحزن وهو يأخذ نفساً عميقاً من سيكارته ثم يسحقها بعنف في منفضة السجائر: «أعترف لك ان علاقتنا بدأت من جانبي نوعاً من المباراة مع رالف، جاهداً أن أحصل على الافضل، ولكنها تحولت الى شيء يسبب الألم لكلينا. أليس كذلك؟»

أحنت أليس رأسها وقالت بلا إحساس: «أجل.»

قال وهو يربت على شعرها برقة:

«المسكينة! ولكن أعدك ألا يطول هذا الأمر.»

ابتسمت له بضعف، وشعرت أنهما في تلك اللحظة أقرب الى بعضهما البعض أكثر من أي وقت آخر منذ بداية تعارفهما في لندن، رغم أنهما لا يشعران بحب حقيقي تجاه بعضهما البعض.

* * *

وجدت أليس في العمل خلال اليومين التاليين راحة لها، وقد أغلقت عليها هي وماغي غرفة المكتب، كانت ماغي تمضي في كتابها بوقع سريعة، تنجز صفحات عديدة لأليس لتنسخها على الحاسوب في الصباح وتملي عليها صفحات أخرى بعد الظهر.

كذلك بدأ الجو في التغير، وبدأت الرياح الباردة والأمطار تضرب النوافذ، مما جعلها سعيدتين بالجلوس الى جانب المدفأة.

كثيراً ما كانت أليس أثناء عملها، وأمامها ماغي تذرع الغرفة جيئة وذهاباً، تقرأ صفحات مما يتم انجازه، وتلقي أحياناً أخرى بصفحات أخرى في المدفأة، كثيراً ما كانت أليس تفكر في الحديقة، وما يمكن أن يفعله بها مثل هذا الجو، بعد ان شارفت على السيطرة عليها.

يا له من عناء منها أن تفكر كثيراً على هذا النحو، في

www.liilas.com

الوقت الذي ستزحل فيه عنها قريباً، وستتركها لتعود الى سيرتها الأولى مرة أخرى، ما لم تقم دومينيك... ولكن لا. ان ذلك الامر لا يمكن التفكير فيه. انها ستكون سيدة القصر، التي لا يعنيها الذهاب أو التفكير في الحديقة مع كل مشاكل الحياة اليومية كزوجة وأم.

من الذي سيعنيه التفكير في الورود، التي أصبحت الآن في أحسن صورة، عندما يأتي العام القادم؟ من سيعنيه أن يجذب تلك الحشائش الضارة التي عانت اليس الكثير في إزالتها؟ او أن تلك الحديقة تركت لها للعناية بها، لزرعت فيها المزيد من الورود.

تنهدت وتوقفت أصابعها عن العمل على الآلة الكاتبة الى أن أدركت أن ماغي تحملق فيها. عادت الى العمل فأدركت أنها قد ارتكبت الكثير من الأخطاء وأن عليها أن تعيد ما كتبته على تلك الصفحة.

وذات يوم، عندما كانتا تعملان، قالت ماغي بصورة عفوية:

«أعتقد أنه يمكننا إعداد الترتيبات للعودة الى بلدنا في نهاية الأسبوع القادم. لقد شارفت على الانتهاء مما أحتاج اليه هنا.»

قالت اليس «هكذا سريعاً؟»

ألقت عليها ماغي نظرة حادة وقالت:

«كنت اعتقد أن الأمر لم يكن بهذه الأهمية بالنسبة إليك.»

قالت أليس لنفسها: انها فعلاً على حق. فان آخر شيء يمكن ان ترغب فيه هو أن تشهد الانتصار النهائي لدومينيك.

استدركت قائلة وهي تحاول إخفاء أفكارها وتنظر من النافذة:

«ان الجو بدأ يعتدل. على الأقل يمكنني أن أقوم بشيء للحديقة قبل أن نرحل.»

ألقت عليها ماغي نظرة رثاء وتفهم في آن واحد وقالت:

«أرجو ألا تخفي وراءك من المشاعر أكثر مما يلزم. وانني لست أعني بذلك وردة او اثنتين.»

قالت أليس على الفور وهي تشد قامتها:

«كلا، سوف أرحل من دون النظر الى الوراء.»

تمتمت ماغي متشككة:

«والآن، عودة الى نهاية الفصل السادس. انني لست واثقة من رد فعل الجد الكبير في ذلك الموضع.»

انتظرت اليس وهي تصلح من الأوراق وأردفت قائلة:

«ان التاريخ دائماً يعيد نفسه!»

لم تنسى أليس تعهدها لنفسها فيما يتعلق بهايدي، ومن ثم عقدت العزم على ان تبحث عن الفتاة الصغيرة قبل ان تتوجه الى الحديقة.

كانت الورود على احسن صورة بعد ريّها بالأمطار. وافترحت هايدي أن تقطف بعضاً منها لتضعها على

مكتب والدها. وافقت اليس، واعتبرت أنه سيكون مدخلا مفيدا لمحلتها في إيجاد نوع من المصالحة بين رالف وابنته، وان تقنعه بأن تلك القصة التي سمعتها ليست سوى كذبة خبيثة.

فقد كانت مقتنعة، برغم تأكيدات دومينيك ان هايدي هي ابنة رالف، وان زوجته لسبب لا احد يعرفه سواها، قد كذبت عن عمد. لا بد أن زواجهما كان في حالة يرثى لها، حتى تفكر في أن تقول له شيئا كهذا.

ولكن هايدي تشبه والدها الى حد بعيد. ان ملامح وجهيهما متشابهة فكيف لم يلحظ رالف ذلك؟ لا بد أن الصدمة والرعب، وعلمه بأن زوجته كانت تصادق غيره، قد أعمى عينيه عن الحقيقة.

مرة اخرى هتف صوت من داخلها بألا تتدخل في شؤون غيرها. ولكن حساسها بما هو حق وعدل يفرض عليها ألا تتخلى عن هذا الأمر، بالاضافة الى أنها بدأت تحب هايدي.

عندما انتهت هايدي من إعداد باقة جميلة من الورود، فاجأهما صوت بول وهو يدخل الى الحديقة مع نيكول. ولكن اليس شعرت بالاستياء، وهي ترى دومينيك تأتي خلفهما.

سارعت اليس بشكل غريزي في حماية هايدي، وطلبت منها ان تعود الى الداخل، وأن تطلب من السيدة باريت إناء لتضع فيه الورود.

نظرت نيكول حولها في دهشة وقالت:«أوه، ما أروع الحديقة. لا بدّ أن الانسة فيرفاكس تتمتع بأصابع خضراء على حد التعبير الانكليزي. لقد كانت جرداء، والآن أصبحت مكانا للجمال بفضل اليس.»

قال بول ضاحكا:«لا بد أن تكون كذلك. لا يمكن ان تصدقي كم من الوقت أمضته فيها. ففي أي وقت لم تكن السيدة ديزموند في حاجة اليها، لم هنا.»

قالت دومينيك:«هل هذه هي الطريقة الانكليزية للحب؟ أن تقضي المرأة وقتها منحنية عند قدمي الرجل؟ أما أنا، فأفضل أن ينحني الرجل عند قدمي. ألا توافقينني يا نيكول؟ ثم ان المكان هنا دافيء، وبعيد عن الأعين. وخسارة ان يكون حديقة. انه مكان رائع لاقامة حوض للسباحة. فكر في الأمر يا بول.»

«أعتقد أنه طالما أن جدتي على قيد الحياة، فسيبقى هذا المكان حديقة. وأعتقد أيضا أن رالف له الرأي نفسه.»

«ربما. ولكن يمكن إقناع رالف دائماً بتغيير رأيه، في النهاية.»

والتفتت الى اليس قائلة:«أنصحك بألا تقضي كثيراً من وقتك جانية يا انسة. فلن يكون هناك من يقدر جهودك عندما تعودين الى لندن.»

كان بإمكانها مواجهة فظاظتها بمثلها، ولكن اليس فضلت الا تدخل في شجار مع دومينيك في حضور نيكول التي كان ذلك سيسبب لها نوعا من الألم.

وبدلاً من ذلك ابتسمت قائلة:«لقد أخذت من أشعة الشمس ما يكفيني اليوم. نيكول، هل نعود سويا الى الداخل.»

وافقت نيكول على الفور، وأصرت على مساعدتها في حمل بعض الأدوات التي كانت تستخدمها في تشذيب الحديقة لاعادتها الى الاصطبل.

قالت أليس، بعد مغادرتهما الاصطبل، وهما في طريق عودتهما من الجناح الذي يضم المطابخ في القصر: «هل أنجزت أي عمل منذ مجيئك الى هنا؟»

قالت نيكول بتردد: «القليل. قلت من قبل انك تودين رؤية الاستديو، هل يناسبك أن تقومي بذلك الآن؟»

«نظرت أليس حولها بتشكك، وسألتها:«هل هو قريب من هنا؟»

«ابتسمت نيكول وقالت:«قريب جداً.»

وفي الداخل، كان هناك درج بني على طراز حديث، يؤدي الى طابق علوي.

في هذا الطابق، أستديو على أحدث طراز، له أرضية خشبية جديدة ونوافذ ضخمة تحتل جدارين كاملين من جدران الغرفة وتصل الى السقف، بالاضافة الى صناديق الألوان المنتشرة هنا وهناك، وفي أحد الأركان هناك طاولة ذات مساند خشبية وضعت عليها أكوام من الأقمشة.

التقطت نيكول بعض اللفافات الكبيرة وحلت أربطتها، أعطت نيكول بعض الأوراق الى أليس تضم نموذجا

للنقوش التي تطبع على الاقمشة. كانت الألوان تأخذ تدرجات اللون الرمادي مع خيط ذهبي متماوج ينساب في أنحاء اللوحة ليعطي التأثير النهائي وقالت:«اننا نعد الآن مجموعة الخريف، كما تعلمين. هذه القطعة أطلق عليها اسم تنهيدة الخريف.»

نظرت أليس الى اللوحة بافتتان، وصاحت في اعجاب كعادتها عندما يقع نظرها على شيء جميل

قالت نيكول:«أعتقد أن لكل منا الذوق نفسه يا آنسة.»

ثم توقفت عن الكلام، وبدت في قضم شفتها عندما أدركت معنى الجملة التي قالتها. شعرت أليس بالأسى نحوها، وقالت برقة:«ليس في كل شيء على ما اظن يا آنسة. كما أنني أعتقد أن الوقت قد حان لنصبح صديقتين.»

نظرت اليها نيكول بشيء من الحزن وقالت:

«بالتأكيد، فانني أحب أن نكون صديقتين.»

جالت أليس في الغرفة وهي تنظر الى لوحات التصميمات التي لم تكتمل بعد.

جذب اهتمامها لوحة كبيرة للرسم، وعليها ورقة رسم جعل وجهها الى الحائط قالت وهي تديرها:«ما هذه؟»

سارعت نيكول على الفور قائلة:«أوه، كلا يا أليس، ان هذه اللوحة سرية للغاية.»

أدركت أليس على الفور السبب وراء هذه السرية.

www.liilas.com

فقد كان تصميماً لا يصلح إلا لرداء الزفاف. لم تر اليس من قبل تصميما في مثل روعته، وقفت مشدوهة لحظة ثم قالت اخيرا
«انني آسفة لتطفلي.»
جاءت نيكول وأعادت اللوحة على ما كانت عليه قائلة:
«كانت غلطتي أنا، كان يجب عليّ ان أحذرك. فان بعض تصميماتنا سرية للغاية ولا يسمح لأحد برؤيتها. فما بالك لو أن التصميم خاص بصاحب العمل نفسه وبأوامر منه... لقد أصدر أوامر مشددة بألا يراه أحد على الاطلاق.»
قالت أليس وقد انتابها شعور بالألم في معدتها:
«هل التصميم من أجل رالف نفسه؟»
«لقد صدر به أمر خاص جدا، سري للغاية، وفي أسرع وقت أيضا وانني أعتقد أنه قرر أن يكون لسانت دينيس أخيرا سيدة من جديد. لقد شرح لي بالضبط ما يريده مني قبل مجيئي الى هنا. وسوف يطلق عليه اسم يوم الزفاف.»
شعرت أليس أنها تريد الهروب من الاستديو، وحتى من نيكول نفسها التي لم تدرك ما تشعر به أليس من يأس رهيب. الى هذا الحد انن، بلغت ترتيبات زواجه!
ولكنها بدلاً من ذلك قالت وكأنها تجد راحة في تعذيب نفسها مفكرة في دوميتيك وهي في كامل

اناقتها بارتداء هذا الثوب، يغطي وجهها الوشاح، ومن تحته يشع بريق عقد عائلة ديجون الثمين: «انه مناسب تماما.»
اوضحت نيكول:«ان القيام بهذا التصميم يعد امتيازا. وأعتقد أن رالف كان يعني ان يقتصر هذا السر على العائلة. وبناء على ذلك، فلا ضير من أن تعرفي هذا السر.»
قررت أليس في تلك اللحظة أن الوقت قد حان لأن تكشف لنيكول الحقيقة، فهي لم تعد تحتمل تلك النظرة في عينيها. قالت برقة:«نيكول إنني لست مخطوبة لبول، ولم أكن كذلك مطلقا. لقد كان الامر كله مجرد خدعة طلب مني بول أن ألعبها على رالف لأسباب ليس هذا وقت الدخول في تفاصيلها، وقد يكشفها هو لك بنفسه، وأمل أن يفعل ذلك. لقد أردت أن تعلمي أنت بهذه الحقيقة لأنني أعرف أنك غير سعيدة وأنني مسؤولة الى حد ما عن هذه التعاسة، ولأنني أعلم تماما مشاعرك. هذا هو كل ما في الامر.»
اندفعت أليس نحو نيكول وانحنت عليها تقبلها على وجنتها، ثم أسرعت تجري نحو الباب، هبطت الدرج وخرجت الى فناء الاصطبل، وهي تستنشق الهواء النقي في الخارج.
سمعت ميسترال، الذي أصبح الآن يعرف خطواتها، يصهل في طرب. سارت نحو الغرفة التي يقف فيها

وهي تحاول السيطرة على نفسها، وجدته يقف انتظارا لها ولما قد تحمله من حلوى له.
أحاطت أليس رقبته بذراعها، وأخفت وجهها بين خصلات شعره وقالت بهمس غير منتبهة لوجود أي انسان حولها:
«أوه، ميسترال، ماذا أفعل الآن؟ انني أحبه كثيراً!»

الفصل الثامن

وصلت أليس الى غرفة المكتب وقد استعادت شعورها بالراحة، حيث وجدت هايدي في انتظارها وهي تحمل إناء فضيا للزهور، اشتركتا معا في تنسيق الورود، علمتها اليس كيفية تخليص الورود من أشواكها بدون تعريض أصابعها للجراح.
سألتها أليس بصورة عفوية «هل قمت بزيارة القرية مؤخرا؟»
«كلا، بسبب هطول الأمطار، هذا بالاضافة الى أنني...»
«بالاضافة الى أنك لا ترتاحين للذهاب الى هناك لأن الاطفال الآخرين لا يرحبون بك كثيرا. أليس كذلك؟ والآن اخبريني يا صغيرتي ماذا حدث؟ لما لا تشاركينهم اللعب؟ من الواضح انهم يعرفونك.»
«عندما كانت مربيتي الآنسة بيرتراند، كنت معتادة الذهاب الى النهر ومشاركتهم اللعب. كنت أحبهم، وأشعر بالسعادة معهم حتى انني بدأت في تعلم السباحة. ولكن عندما جاءت الآنسة فيرود قررت الامتناع عن اللعب مع أطفال القرية لانني ابنة القصر ووضعي هذا لا يسمح لي الا بالتصرف في حدود معينة، أنها تمنعني حتى من التحدث الى ايفون أو ميشيل أو غيرهما لأوضح لهم هذا التغيير، وهم

www.liilas.com

الآن يطلقون عليّ اسم المتحذلقة الصغيرة ويسخرون مني.»

يا للطفلة المسكينة! كيف تعيش مثل هذه الحياة؟ فلا هي تجد أطفالا في القصر لتشاركهم اللعب، ولا تستطيع ان تلعب مع أصدقائها الذين تعرفت عليهم في الخارج. لا عجب اذن أن يثير ذلك غضب أطفال القرية. كما أن هايدي محظوظة لأنهم اكتفوا بإطلاق ذلك الاسم عليها.

سألتها اليس بصورة حاولت أن تكون عفوية أيضاً: «ومن الذي أوصى بأن تكون الآنسة فيرود هي مربيتك؟»

«أعتقد انها دومينيك. وكنت أتمنى لو لم تفعل. انني أشعر بالكآبة مع الآنسة فيرود، وأعتقد أنها هي الاخرى لا تحبني كثيرا.»

قررت اليس أن من الحكمة أن تغفل هذا الجزء الأخير من ملاحظات هايدي وقالت: «ولكن هل تحبين العودة للعب مع أطفال القرية من جديد؟ الا تعتقدين أنك مختلفة عنهم، أو انك أفضل منهم بصورة أو بأخرى؟»

«كلا، بالتأكيد! كنت أتعلم منهم القفز والسباحة ولكنني اعتقد أنهم الآن لا يرحبون بعودتي اليهم.»

«أوه، لا تقولي ذلك. ان الأمر فقط يحتاج الى وقت والى شجاعة من جانبك. لو أردت حقيقة أن تكوني واحدة منهم، فسوف يرحبون بذلك بدون شك.»

قامت هايدي واحتضنت اليس وأكدت لها أنها بالفعل تود ذلك. وقررت اليس في نفسها القيام بالخطوة الأولى في سبيل إعادة الطفلة الى اصدقائها في أسرع وقت ممكن. بل قد تأخذها لتسبحا معا في البحيرة الكبيرة أولا. ثم تقوم ان ماري بتلك المهمة بعد ان ترحل هي الى لندن.

ولكنها في الوقت نفسه شعرت بالأسى لادراكها أنه بزواج دومينيك من رالف، فمن المحتمل أن تظل الآنسة فيرود المربية الدائمة لها، وتكون حينئذ فرصتها كاملة في تأصيل قيمها البالية في طفلة مثل هايدي. وبلا شك سيكون في ذلك نهاية لأي أمل في إرسالها الى المدرسة التي تعتقد اليس أنه أفضل شيء لها.

شعرت فجأة بأنهما ليستا بمفردهما في الغرفة، وأن رالف يراقبهما عند الباب. كان يرتدي بذلة في غاية الاناقة، وعاود اليس شعورها بأنه أكثر الرجال الذين رأتهم جاذبية. حاولت أن تكبح ذلك الشعور الأنثوي الذي غالبها بأن تزيح تلك الشعيرات المتمردة من فوق جبينه.

قال بصوت ليست فيه نبرة تنم عن أي مشاعر: «لاحظ ان كل ذلك الجهد في حديقة جدتي لم يضع هباء.»

«أمل ألا يكون في ذلك أي ازعاج. فقد كانت هايدي ترغب في قطف بعض الورود ووضعها على

www.liilas.com

مكتبك الذي أعتقد انه بحاجة الى بعض الزينة.»
شعرت بيؤس بأنها تتدخل من جديد في شؤونه وقالت لنفسها: الآن سيقول لي ان المكتب للعمل فقط، وأنه لا مكان هنا لمثل هذه الرفاهية.
قال وهو يبتسم قليلا: «وهل كنت تعتقدين أنني أهتم بأن يتزين مكتبي بالورود ويصور العائلة.»
«كلا، بالتأكيد. ولكن بعض الورود تجعل الغرفة أكثر بهجة ودفئا.»
«لسوء الحظ أنني تعودت على عدم اعتبار هذا القصر بيتي منذ عدة سنوات.»
كانت هناك نبرة مرارة في صوته انعكس أثرها على الفور على اليس. التفتت الى هايدي التي كانت منشغلة بترتيب الزهور وقالت بسرعة: «أعتقد أن هذه المجموعة ينقصها ذلك النوع من الورود التي أشرت اليها ونحن في الحديقة صباح اليوم. هيا أسرعي واحضري بعضا منها.»
أطاعتها هايدي على الفور. وكان تعليق رالف:
«ان لك طريقة خاصة في معاملة الأطفال. لم أرها بمثل هذه الحماسة من قبل.»
«المشكلة هي انك لا تراها على الاطلاق.»
«لقد خضنا من قبل في مثل هذا الحديث. وأعتقد أنني أوضحت لك تماما أنني على غير استعداد لمناقشة أمور الطفلة معك.»
«لست ملزمة بإطاعة هذه الاوامر التي تصدرها.»

كانت اليس تتحدث بجدية، ولكن مشاعر الغضب كانت تمتزج بمشاعر الحب والتعاطف معه. ومصممة على الاحتفاظ هذه المرة بهدوئها وقول ما يجب عليها قوله.
«أرجوك، أرجوك يا رالف. اصغ اليّ انني لن أضيع من وقتك الكثير ولكنني لا أستطيع الرحيل في الاسبوع المقبل من دون التحدث اليك بما أعتقد، بما أعرف أنه الحقيقة.»
«وهل تستطيعين قول الحقيقة؟ حسناً. هاتي ما عندك، والآن لا تلومي الا نفسك اذا تجاوزت حدك. لقد تحملتك الى أقصى ما في وسعي.»
قالها بمرارة وهو يخرج من جيبه علبة سجائره الفضية ويشعل سيجارة.
كانت تلك بداية غير مشجعة. كانت يداها ترتعشان، ولكنها حاولت السيطرة على نفسها وقالت وهي تحاول ان تشغل نفسها بتنسيق الورود: «لقد بلغتني قصة هايدي واعتقد انه بلغك الشيء نفسه، ولكن الفرق بيننا أنك تصدق هذه القصة، أما أنا فلا أستطيع تصديقها. فأي انسان لديه عينان ويشاهدكما أنت وهايدي معا لا يمكن أن يصدق مثل هذه الكذبة. اؤكد لك يا رالف، وبرغم ما قيل لك ومن قاله، ان هايدي ابنتك، من لحمك ودمك. ما عليك سوى أن تنظر في المرآة وسترى أنها انعكاس لك. انها صورة منك، النظرات، الحركات، أوه، كل شيء.»

www.liilas.com

توقفت عن الكلام وقد بدأت الدموع تملأ عينيها، أما الرجل الواقف عند الباب فلم يحرك ساكنا، ولم يحمل وجهه سوى ذلك التعبير الصارم.

اضطربت أليس وهي تضع احدى الورود في الأناء، فقد اخترقت اصبعها شوكة وردة، وانساب الدم من يدها.

قال رالف وهو يقترب منها بدون أي تغيير في تعبير وجهه: «هل أصبت؟»

«انه أمر بسيط مجرد وخزة.»

«كلام فارغ، انك تنزفين.»

«أخذ يدها التي كانت تحاول إخفاءها وراء ظهرها، وقطب جبينه وهو يفحص الاصابة:

«هناك جزء من الشوكة ما زال في الجرح، يجب اخراجها قبل تضميد الجرح وإلا فانه قد يصاب بالالتهاب.»

قبل ان تحاول منعه، كان قد انحنى على مكان الاصابة، وامتص بشفتيه الشوكة.

أحست أليس بجسدها يذوب تحت لمسة شفتيه لراحتها، وانهارت كل مقاومة لها، وتبخر تماما عزمها على عرض مشكلة هايدي وتصميمها على ابلاغه الحقيقة بشأن علاقتها ببول، تحت وطأة رغبتها العارمة في لمسة أخرى منه. قال وهو يخطو الى الخلف: «آمل ألا أكون قد لمثتك.»

أخرج منديلا من جيبه، وجعل منه ضمادة حول

اصبعها. أما هي فوقفت مشدوهة، وهي تسعى جاهدة للسيطرة على نفسها.

سألته بهدوء: «أعتقد أن كل ما قلته لك لم يغير من الأمر شيئا. أليس كذلك؟»

«انك فيما يبدو تعلمين أكثر عن حياتي الخاصة. اذن، لا بأس أن تعرفي بقية القصة. اجلسي.»

«أفضل الوقوف.»

«وأنا افضل ان تجلس. اجلسي... انها ليست بالقصة المسلية، ولكنك استمعت الى اسوأ جزء فيها على ما أعتقد. لقد قابلت فيكتوار، زوجتي الراحلة في باريس. وعملت عارضة أزياء، وعملت بعض الوقت في مؤسسة فوتين هكذا تقابلنا. بطبيعة الحال. كانت أجمل امرأة وقعت عليها عيناي، وكنت أرغب فيها. رغم ان في حياتي نساء آخريات... ولكن فيكتوار كانت مختلفة. كانت تريد أن تحظى بالاسم، والاحترام، وفوق كل شيء، المال. وهكذا أوضحت لي منذ البداية أنه من دون رباط الزواج لن تكون لي. ولم أنر حينئذ أن السبب وراء عدم دعوتها لي الى شقتها إلا بموعد سابق، هو أنها تستقبل معجبين آخرين. عندئذ أن ذلك نوع من الحياء ... كم كنت أبله! في النهاية، تزوجنا، وجئنا لنقيم هنا. وكان ذلك كارثة. كرهت ان تعمل اي شيء في حياتها. كان كل ما يعنيها، الملابس، والمعجبين. وهنا لا توجد فرصة لاستعراض ملابسها، أو أن يكون لها معجبون.

www.liilas.com

وهكذا بدأت تقوم برحلات الى باريس لتزور اصدقاء قدامى. كما كانت تقول.»

قالت اليس وهي تجاهد لاخراج صوتها «وماذا عن هايدي؟»

«غلطة، كما قالت لي في البداية، ترتبت على المرات القليلة التي تشاركنا فيها الحب. ومرت بفترة حمل عصيبة. وخشي الأطباء على حياتها في الولادة، ولكنها عاشت. أما أنا فقد اعتبرت نفسي مسؤولا عن تلك المحنة التي مرت بها. وهكذا ظللت جالسا بجوار فراشها وأنا أشكر لها تلك الهبة التي اعطتني إياها... هايدي، الرقيقة الغالية، التي جاهدت كثيرا للخروج الى الحياة. أما هي فقد ضحكت، برغم وهنها، وكنا بمفردنا. شكرتني على عرفاني بجميلها، ولكنها أردفت قائلة: انها غير واثقة من أنها ابنتي. وذكرت اسماء رجال آخرين، يمكن أن يكون أي واحد منهم، والد هايدي.»

«أوه، لا تقل شيئا آخر. ليس من حقي أن أستمع الى شيء خاص جدا كهذا.»

«لقد سعيت أنت من اجل ذلك ويجب ان تعلمي الحقيقة. طوال العام التالي عشنا كزوجين في الظاهر فقط. فلم يكن الطلاق امرا واردا. وفي كل مرة أنظر فيها الى الطفلة أشعر أنني ممزق بين عاطفتين. أردت أن أحبها كابنتي. ولكنني في الوقت نفسه كنت أتعذب تحت وطأة الظنون. وازدادت زيارات

فيكتوار لباريس. لم تهتم بالطفلة أو شؤون المنزل. استخدمنا مربية للعناية بهايدي. وكانت فيكتوار تتركها مع الطفلة طوال الوقت تقريبا. حتى عندما مرضت هايدي، لم تهتم فيكتوار على الاطلاق، بل ضحكت عندما أبلغتها أن الطفلة مريضة وقالت انها ستتركني وأنها ستذهب الى رجل آخر أكثر ثراء. رجل أعمال يوناني يمتلك أسطولا لسفن الشحن. كنت انا مجرد درجة تصعدها في طريقها الى أعلى السلم الاجتماعي.»

نظر الى اليس. كان الالم الذي لم تشهد مثله في حياتها يعتلي تعابير وجهه.

شعرت بأنها تريد ان تجري نحوه، أن تحتضنه وتخفف عنه الآلام. ولكنها لم تجرؤ. منعها إحساسها بأنها هي أيضا تخدعه. وهكذا جلست مكانها تعتصر بين أصابعها أطراف المنديل الذي ربطه كضمادة حول اصبعها.

«ونهاية القصة، واعتقد أنك تعرفينها الآن، أنها تركت هايدي وهي مريضة. تناديها وهي محمومة، لتأخذ السيارة وتذهب الى صديقها في باريس، ثم مصرعها في النهاية بعد اصطدامها بالقطار.»

«أوه، كلا. لم أسمع بذلك على الاطلاق. لقد قيل لي أن الحادث وقع وهي تسرع عائدة لرؤية طفلتها.»

«كانت تلك هي القصة التي نشرتها بين الجميع. ولكنهم كانوا يعلمون حقيقة الموقف على ما أعتقد.

ولكن أحداً منهم لم يتفوه بشيء عن الموضوع حتى الآن. ويهمني الآن أن أعلم من الذي جرؤ على ابلاغك بالقصة.»

صمتت أليس، وقلبها يتألم من أجل تلك الطفلة الوحيدة، وهذا الرجل الوحيد أيضاً والذي مزقته شرور امرأة لم تكن راضية عن حياتها معه. ربما كان انتقامها من رالف لما عانته في فترة الحمل والولادة.

«انني أنتظر اجابتك.»

«ليس في نيتي أن أبلغك. وأود أن أقول لك لو كان في ذلك أي عزاء لك، أن من ابلغني كان يسعى الى غرض محدد، وليس لمجرد التسلية بالحديث عن الناس. وكان المقصود ايلامي بهذه الأنباء.»

قال وقد تركزت نظرته عليها فجأة، ولكنها لم تر تلك النظرة لانشغالها بالنظر الى يديها: «وهل شعرت بالألم؟»

«بالطبع فانني مغرمة جداً بهايدي، وربما تكون قد لاحظت ذلك.»

قال بهدوء: «آه.»

ثم ساد الصمت.

سار رالف تجاهها ولكنه لم يحاول أن يمسها، بل جلس على المقعد المواجه لها، تحسس أوراق الورود، وقال كأنما لم يجر بينهما ذلك الحديث السابق:

«كانت هناك ورود دائماً على المكتب عندما كانت

جدتي تقيم هنا. وفي الوقت الذي لم تكن الورود متاحة. كانت تضع أجدي أي نوع من الزهور من حديقة أحلامها. لقد أجبرتها فيكتوار على الرحيل من هنا لتقيم في أنتيب. كانت فيكتوار تتميز بالقدرة على ايلام الناس. مثل تلك الشوكة التي اكتشفتها في تلك الوردة، يا جميلتي. ويبدو أنها استمتعت بذلك.»

وتذكرت أليس أن دومينيك ستكون نسخة أخرى من فيكتوار. انها تذكر مناقشة دارت مرة بين والديها عن جار لهم تزوج للمرة الثانية امرأة لها غلظة وسلاطة لسان زوجته الأولى. كانت دائما تبتسم عندما تتذكر هذه القصة. ولكن ليس الآن. الآن أصبح الأمر متعلقاً بها شخصياً. كما أنها لم تعد مجرد قصة تحكى،بل حقيقة. وتذكرت وجه رالف الجذاب، واستعداد هايدي في خجل لاقامة علاقات صداقة. كل ذلك سيختفي الى الأبد في ظل زوجة أب غير عطوفة وغير محبة. أوه، كلا ليس رالف هو من يفعل ذلك!

قاطع رالف تسلسل افكارها وقال بصوت هادىء ودود مرة اخرى: «كنت اعتزم أن اشكرك على كل ما فعلتهِ من أجل الحديقة الصغيرة. ان جدتي ستسعد كثيرا لو أتيحت لها رؤيتها.»

اضطرت أليس أن ترد عليه بالطريقة نفسها:

«ان ذلك لم يتعبني في شيء، فانني أحب العناية

بالحدائق وأشعر بالسعادة في الهواء الطلق. وأشعر بالأسى لأن الحديقة لن تبقى كذلك لوقت طويل.»

أسقت أليس لقولها تلك الجملة الأخيرة التي قالتها بدون وعي منها.

نظر اليها رالف، الذي كان يشعل سيجارة أخرى مندهشا وقال:«ماذا تقصدين؟»

قالت أليس وهي تعتصر المنديل بين يديها:

«أعتقد أن هناك تفكيرا لتحويلها الى حوض سباحة.»

قال وهو يمعن التفكير:«أم أجل، أظن أنني سمعت دومينيك تشير الى شيء كهذا في عدة مناسبات.»

تجرأت أليس وسألته:

«وما هو شعورك أنت تجاه ذلك؟»

هز كتفيه، وألقى بالولاعة في الهواء، ليعود ويلتقطها:

«في اعتقادي أن النساء الجميلات تملن الى فرض آرائهن. في النهاية، يا جميلتي. ألا تفعلين ذلك أنت؟»

أعفتها هايدي من الاجابة على ذلك وهي تعود الى الغرفة وفي يدها الزهور. لاحظت أليس وهما تقومان بتنسيق الزهور في الاناء أن رالف لم يرفع عينيه عن هايدي وكأنها فريسته.

لم تشعر أليس بمثل هذه التعاسة من قبل. هي نفسها شعرت بالألم عند سماعها ما قاله رالف. ترى

ماذا كان شعوره هو طوال تلك السنين؟ كيف يتسنى لأي امرأة أن تكون بمثل هذه القسوة؟ انها تقدره الآن في موقفه تجاهها هي.

كانت زوجته امرأة لعوب، ولذلك فانه لن يسمح لأخيه الأصغر، والأكثر منه ثهورا، أن يسقط في الفخ نفسه. اعترفت أليس لنفسها انها لو كانت هي في مكانه، لربما حاولت هي انهاء هذه العلاقة بكل وسيلة ممكنة، مشروعة أو غير مشروعة. ومع ذلك فانها لم تستطع ايجاد تفسير لاعتقاده بأن بول سيجد سعادته مع دومينيك. كان ذلك بمثابة لغز لها.

الآن وبعد أن حكى لها رالف كل شيء بوضوح وصراحة، فقد حان الوقت لكي تكون هي ايضا أمينة معه.

ولكن ذلك كان مستحيلا في وجود هايدي، ولم يكن باستطاعتها التفكير في مهمة أخرى لتبعد بها الطفلة عن الغرفة.

والذي حدث أن المشكلة وجدت لها حلاً بظهور ماغي عند باب غرفة المكتب، قائلة: «أنت هنا يا عزيزتي. أشعر الآن أن الالهام لن يأتيني إلا في الشرفة، هيا احضري أوراقك.»

التفتت أليس الى هايدي وقالت:«يمكنك الآن يا صغيرتي أن تكملي بنفسك تنسيق الزهور في الاناء، ثم تقدميه الى بابا كهدية منك.»

www.liilas.com

التقطت أوراقها وتبعت ماغي عبر الردهة، ثم غرفة الاستقبال الصغيرة، ثم الى خارج الشرفة حيث وضع عدد من الطاولات الصغيرة، وعدد من المقاعد المريحة تحت أشعة الشمس المشرقة.

كانت السيدة ديجون تجلس على أحد هذه المقاعد، منشغلة بالتطريز. اكتفت بالابتسام والتلويح، بدون أن تبذل محاولة لتبادل الحديث مع ماغي وآليس وهما تبدآن في العمل.

كانت ماغي بالفعل في حالة نشاط ذهني. وبعد نحو عشر دقائق من الاملاء المتدفق على آليس، أدركت الأخيرة أنها في حاجة الى بعض الأوراق الأخرى. استأذنت على عجل، وتركت ماغي ترشف كوبا من العصير.

وأسرعت عائدة الى غرفة المكتب حيث تحتفظ ببعض الأوراق في أحد الأدراج.

كان باب الغرفة مواربا، ولم تحدث صوتا وهي تدفعه أمامها. ثم توقفت، وهي لا تجرؤ على الايمان بأي حركة أو صوت.

كان رالف يقف بمواجهة المرآة. وهو يحمل هايدي بين يديه ويحملق في وجهه ثم وجهها، وكأنما يريد أن يرسم في ذاكرته كل ملمح من ملامحها، ثم جذب وجه الطفلة وقربه من وجهه، ثم أخذ في تقبيل وجنتيها، وعينيها، ويربت على شعرها، والطفلة تحتضن عنقه بيديها الرقيقتين.

تراجعت آليس الى الخلف من دون أن يراها أحد، وقد اختنقت بالعبرات وامتلأت عيناها بالدموع.

عندما عادت الى الشرفة، أدركت أن العمل انتهى لهذا اليوم. فقد انضم شخص جديد الى المجموعة، والتف الجميع حول إحدى الموائد. كان الرجل القادم يضع نظارات طبية، وله شعر خفيف. تعرفت آليس عليه من فورها «سيد بريتليس».

«الآنسة فيرفاكس. يا لها من سعادة! لم أكن أتوقع رؤيتك مرة أخرى بعد أول لقاء لنا عند عرض الباشا. كما انني لم أتوقع أيضا أن تكوني زوجة المستقبل لأحد الأبناء من أفراد هذا البيت. لو كان ما سمعته صحيحا.»

ارتفع أنين آليس في داخلها، وألقت نظرة يائسة الى ماغي التي كانت منشغلة بالنظر الى كوب العصير في يدها. أما السيدة ديجون فكانت تبتسم برقة، لحسن الحظ، لم تجد أي من السيدتين مغزى لاشارته الى لقائهما السابق. اغتصبت آليس ابتسامة وقالت:

«أعتقد أن في ذلك شيئا من المبالغة، وأن شيئاً من هذا لم يحدد بعد.»

«ولكنني واثق ان ذلك سيحدث. انني أعرف أبناء ديجون هؤلاء جيدا صدقيني، فهم يحصلون على كل شيء يرغبون فيه، وهذا هو السبب في أن مؤسسة فونتين أصبحت تعلو على غيرها.»

شعرت آليس بالراحة، لأن الحديث أصبح عند هذا

الحد واشترك فيه الآخرون. استند ماكس بريتتيس بظهره على المقعد بحرية وقال:«ولكن اين نيكول، انها الشخص الذي يجب أن أراه. لقد سمعت أن صحتها ليست على ما يرام، وهذا يعني كارثة بالنسبة إلينا.»

ردت السيدة ديجون بصورة غير متوقعة:«ان متاعب نيكول عاطفية وليست صحية. ولكنها تقضي وقتاً طويلا في الاستديو، وتبدو أكثر سعادة في كل يوم عن اليوم السابق. أما بالنسبة إلى العمل فيسير بشكل مرض، وذلك الامر الخاص، الذي أعتقد أنك عملت به، أنجزته في سرعة قياسية.»

«تقصدين سرنا؟ يبدو أن رالف هو الوحيد الذي يعرف عنه كل شيء. ربما كان يعلم أن هناك زواجاً ملكياً في الطريق.»

دار الحديث بعد ذلك منفرداً بين ماكس بريتتيس وبين ماغي حول بعض معارفهما في لندن. وهكذا لم يكن الحديث يثير اهتمام الآخرين. وعندما توقف هذا الحديث برهة، لاحظت آليس أن ماغي نظرت الى السيدة ديجون نظرة ذات مغزى، وردت عليها الأخيرة بإيماءة من رأسها.

وهنا حركت السيدة ديجون أحد المقاعد الصغيرة وجذبته أمامها وأشارت الى آليس بالجلوس وقالت:«هكذا تتفتح نيكول الصغيرة في أشعة الشمس مثل ورودك الجميلة في الحديقة الصغيرة. أما أنت،

يا صغيرتي، فانك تزدادين نحولاً يوماً بعد يوم.»

«انني على ما يرام.»

«انني أحبك يا آليس، ولذلك أريد منك أن تصدقيني القول. هل تحبين ابني؟»

احتارت آليس في الاجابة، وهمت أن تقول أيهما، ولكن ذلك كان مستحيلا، وإلا كشفت عن نفسها تماما.

قالت أخيراً بهدوء:«أعتقد أنه يجب ان تعلمي أنني وبول قررنا بأننا لن نكون سعيدين معا، ويجب انهاء خطبتنا.»

قالت السيدة بشيء من الدهشة:

«بول؟ ومن اشار الى بول؟ انني أتحدث عن رالف. هل تحبينه؟»

«سيدة...»

توقفت آليس عن الكلام. لقد كشف سرها. وفي ايماءة تقضي بأبلغ من الكلام، رفعت آليس يدها لتسند عليها وجنتها.

«هذا ما كنت أعتقده. ولكنني أحذرك يا صغيرتي، ان حياتك معه لن تكون سهلة. لقد مرّ بتجربة مفزعة وبأس مرير ولذلك فقد أقام جدارا حول أرق مشاعره. ولكن المرأة الصالحة تعرف كيف تخترق هذا الجدار، وأعتقد انك تلك المرأة.»

«ولكنني لا أظن أنه يعتقد ذلك أيضاً يا سيدتي.»

«انك لم تشاهديه يوم الحادث الذي وقع لك، دخل

www.liilas.com

علينا وهو يحملك بين ذراعيه. لقد كان شاحباً مثلك تماما ورفض أن يتحرك من جانبك وأنت غائبة عن الوعي. وظل ملازما لفراشك. وأريدك أن تعلمي يا صغيرتي أن بول أبلغني بالحقيقة كاملة. لقد غضبت في البداية ولكنني لم ألق عليك اللوم. فالغضب يجعل المرء لا يتصرف على النحو السليم. ومع ذلك فما زلت أرحب بك كابنة في هذه الأسرة. لقد حان الوقت لأن تكون هناك عروس انكليزية أخرى في سانت دينيس.»

«ولكن ماذا عن دومينيك؟»

اجابت: «ماذا عنها حقيقة! كانت عازمة على أن تتزوج واحدا من ولدي . لو أن رالف تزوجها، فان تلك ستكون زيجة عمل على ما اظن. انها تصلح زوجة مناسبة، بدون شك. ولكن رالف لن يعرف معها الفرح، والألم، والسعادة للحياة التي يتشارك فيها اثنان في كل لحظة من لحظاتها، والتي أثق أنه سيعرفها معك.»

أنقذ أليس من الاجابة على كلامها قدوم ماكس بريتنيس اليها وامساكه ليدها قائلا:

«هيا، أرني تلك الحديقة الانكليزية التي أقمتها في وسط فرنسا، والتي سمعت عنها الكثير. قالت لي أن ماري أنك صنعت بها الأعاجيب.»

كانت تلك فرصة للهروب. لقد هزها حديث السيدة ديجون من أعماقها.

فهي تعلم أن تلك الآمال لن تتحقق، ولا تأمل أبداً في أن تتحقق مرة أخرى تلك السعادة التي احست بها من قبل بين ذراعيه.

www.liilas.com
عطاري

الفصل التاسع

اظهر ماكس بريتنيس انه على دراية واسعة بالحدائق وكيفية العناية بها. ولقد أثنى كثيراً على ما حققته أليس في تلك الفترة الصغيرة نسبياً التي قضتها في القصر. قال:

«أود لو أن السيدة ديجون الجدة تراها. سيكون ذلك مبعث سعادة لها.»

نظرت اليه أليس في دهشة وقالت «ماذا. أنت تعرفها؟»

ضحك وقال: «أجل. بالطبع فهي لم ترحل عن القصر الا منذ سنوات قليلة، وكانت معتادة أن تجلس في هذه الحديقة كل يوم.»

ثم تنهد وابتسم من جديد وقال: «كان قرارها بالرحيل عن البيت خسارة كبيرة، لا بدّ انها أقامت حديقة مماثلة في الأنتيب حيث هي الآن.»

كان حديثه عفوياً، ومريحاً. وأكد لأليس شعورها بالارتياح له منذ المرة الأولى التي قابلته فيها في لندن. سألته وهي تقطف له وردة نضرة لتضعها في عروة سترته:

«هل لك وقت طويل هنا في فرنسا يا سيد بريتنيس؟»

«أرجوك، نادني بماكس، فانني لا أحتمل كل هذا

التكلف. وأجيبك الآن بأنني هنا منذ أيام قليلة فقط فهناك بعض الأعمال التي يجب الانتهاء منها في باريس. أما السبب الحقيقي لوجودي، فهو مشروع دمج شركة منسوجات فومون مع فونتين وهو المشروع الذي سيجري الانتهاء منه هنا هذا المساء. وقد بعث رالف في طلبي لأكون أحد الموقعين على العقد. وعلى اي حال يجب ان أرحل من هنا بعد العشاء مباشرة، اذ يجب أن أعود الى لندن غداً.»

«الاندماج أخيراً! توقفت أصابع أليس فجأة وهي تضع الوردة في عروة سترته وقالت بصوت لم تتعرف هي عليه

«لم ادرك أنه سيتم هكذا سريعاً.»

«ان المفاوضات تجري منذ عدة شهور. وهو مشروع سيفيد خططنا في التوسع. كما أنني سمعت أنه سيكون هناك نوع آخر من الاندماج سيعلن في الوقت نفسه.»

لا يهم الآن ما قالته السيدة ديجون، فيبدو أن رالف قد عقد العزم على الخوض في ذلك الطريق المرير الذي اختاره لنفسه.

أصبح الزواج من دومينيك جزءاً من صفقة شاملة اتفق عليها كل من الاسرتين انتابتها رعشة خفيفة، ونظر اليها ماكس بقلق:

«هل تشعرين بالبرد، كان يجب عليك احضار وشاحك.»

«كلا، شكراً لك. لقد أسعدتني رؤيتك كثيراً. سوف نرحل أنا وماغي الى لندن الأسبوع المقبل، وربما لن تسنح لي الفرصة لرؤيتك مرة اخرى.»

«أوه، لا أصدق هذا، فانت بدون شك لن تنسى وعدك بزيارة فونتين في لندن لمشاهدة منتجاتنا. وما زلت أذكر ذلك الثوب الذي قلنا انه يناسبك تماما.»

قالت ليسيا وهي تتظاهر بالحماس، وان كانت في داخلها تقسم الا تضع قدميها مرة أخرى على أرض تخص فونتين: «ان ذلك كرم منك.»

قال ماكس بمرح: «اني أتذكر الآن اسمه، ليلة من ليالي الصيف.»

قالت اليس وهي تنحني لتقتلع ساقاً من العشب الضار لتخفي ما يعتمل به وجهها من مشاعر: «أجل، لقد شاهدت بالفعل أحد نماذجه، وكان جميلا كما توقعت.»

«ان رالف يخفي شيئاً أروع هذه الأيام. فهو يعمل مع نيكول في ذلك القماش الذي لم يسمع لأحد غيرهما في مشاهدته.»

كانت تعرف ذلك الشيء الذي يشير اليه ماكس، انه تصميم ثوب الزفاف الذي يسرعان في الانتهاء منه حتى يتسنى لدومينيك ان ترتديه يوم زواجهما. وبعد ذلك يكون الحفل الراقص في الميدان مع أبناء القرية، ورالف يمسكها بين ذراعيه.

نظرت اليس الى ماكس ورسمت ابتسامة على

شفتيها، وقالت: «انك على حق، لقد بدأ الجو يبرد قليلا. هل ندخل الى البيت؟»

عندما أخذت اليس في إعداد نفسها للعشاء، تلك الليلة، كان تفكيرها مضطربا وبداها ترتعشان لا تقويان على عقص شعرها الى الخلف كما تريد، لذا تركت لشعرها العنان ليسدل على وجهها.كيف تستطيع البقاء، هنا ومواجهة هذه الليلة بما تحمله من أحداث؟ لقد علمت أن من بين الذين سيحضرون الى جانب محامي العائلة، والدا دومينيك.

قالت السيدة ديجون بمرح: «ستكون مناسبة هامة، لطالما تمنته فونتين منذ وقت طويل.»

كانت اليس قد تمكنت أثناء تناول الشاي بعد ظهر ذلك اليوم من الحديث مع بول، وشكرته على إبلاغ والدته بالحقيقة، ورد عليها

«كان من الحماقة الاستمرار في تلك الكذبة، خصوصا وأن زواج رالف أصبح مؤكدا. لقد دارت مناقشات حول تسوية بعض الأمور الى جانب موضوع الاندماج. كما انه أرسل مجوهرات العائلة الى باريس لتنظيفها، وهكذا ترين انه من المتوقع ان يتم الاعلان عن زواجه في أي وقت. وهناك شيء آخر، هناك نيكول.»

تابع بول مفسرا: «لقد تعارفنا منذ أن كنا أطفالاً. وتحابينا، ولكنها كانت مجرد علاقة صبي وفتاة

www.liilas.com

صغيرة، أو هكذا خيل لي. وبعد ذلك قابلت دومينيك، التي جذبتني اليها اختلافها عن نيكول.»

توقف قليلا، وقال وهو يتنهد «كنت أعلم أنني أتسبب في إيلام نيكول، بل والعائلة، التي أرادت لنا ان نتزوج وأعلم أيضا أن دومينيك تجعلني أحمق، وأعرف طبيعتها تماما ولكنها كانت مثيرة، وذلك ما رغبت فيه وقتئذ. ولكنني لم أفكر مطلقا في الزواج منها، ولكنها، للأسف، كانت تفكر في ذلك.»

قالت اليس، تعاونه في إتمام القصة «حينئذ جئت أنا في الصورة.»

«آه، كلا، على الاطلاق. لقد أحببتك حقيقة، لقد أحببتك حقيقة بطريقتي الخاصة.»

«ولكن طريقتك الخاصة تلك لا تتفق وطريقتي. اعتقد أنني كنت بمثابة مهرب من دومينيك.»

قال بول «ربما كان ذلك صحيحا بقد ضئيل. لقد كنت أهتم بك حقيقة.»

قالت اليس برقة وهي تطبع قبلة على خده: «سوف تسعد كثيرا مع نيكول. وأنا لي حياتي في لندن. فهذه الأسابيع الأخيرة كانت تجربة مفيدة لي.»

«ربما أكون قد تمكنت من الهرب من دومينيك كزوجة لي، ولكنها ما زالت ستثقل كاهلي كزوجة لأخي.»

شعرت اليس بوخز وقالت بصوت منخفض غير مسموع لها هي نفسها: «لا يمكن للانسان ان يفوز بكل ما يشتهي.» ثم افترقا.

وقفت اليس امام المرآة لتلقي نظرة أخيرة على نفسها قبل ان تنزل للعشاء، لمحت تلك الهالات السوداء، تحت عينيها، وخطين حول فمها يؤكدان حالة التوتر التي تمر بها. حاولت تجربة ابتسامة، ولكنها كانت ابتسامة مكبوتة ومصطنعة. وشعرت بالتعاسة وهي تفكر كيف ستبدو متعبة وشاحبة في مواجهة دومينيك التي ستكون متألقة بالانتصار.

كانت غرفة الاستقبال مكتظة عندما دخلتها. أسرع اليها ماكس برينتيس وقدمها لآل فومون. كان رالف يرتدي بزلة أنيقة للمساء، ويقف الى جوار المدفأة يتحدث الى دومينيك وهي في قمة أناقتها.

انضمت اليس الى ان ماري ونيكول التي بدت سعيدة. قالت ان ماري «أعتقد أن الاعلان الرسمي للاندماج سيتم أثناء العشاء. وبالطبع سنكون هناك الكلمات الرسمية التي أمقتها، ولكن، على الأقل، لن تكون هناك قنبلة كتلك التي أعلن عنها بول عن خطبتكما.

في يوم ما، يجب ان تبلغيني بكل شيء. انني حتى الآن لا أستطيع ان أفهم تلك اللعبة التي كنتما تلعبانها. في هذه المرة، على الأقل، نحن نعلم شيئا عما سيحدث. منسوجات فومون ستصبح أخيرا ملكا لفونتين. ثم اردفت بصوت منخفض «ولكنني سعيدة لأنك لست مخطوبة حقيقة لبول، يا عزيزتي. فإنكما لا يلائم أحدكما الآخر على الاطلاق.»

احمر وجه اليس وقالت «أعتقد أنك على حق.»

www.liilas.com

حملقت فيها آن ماري بفضول. وقالت وهي تتنهد: «كنت أود أن تكوني زوجة أخي. ومع ذلك أحب أيضا أن تكون نيكول زوجة أخي.»

احمرت وجنتا نيكول. وتمتمت بكلمات اعتراض هادئة. في تلك اللحظة شعرت اليس بيد تمسكها من ذراعها. رفعت عينيها لترى رالف يقف بجوارها. قال بهدوء: «أود أن أتحدث معك على انفراد. من فضلك. في الشرفة.»

«ان الحديث على انفراد أمر صعب في مناسبات عامة كهذه. كما ان عباءك سيكون ملحوظا على أي حال. أعتقد أننا تحدثنا بما يكفي في الماضي.»

«على العكس. فان هناك عددا من النقاط ما زالت في حاجة الى ايضاح قبل ان أسمح لك بأن تستقلي الطائرة مع السيدة ديزموند في الأسبوع المقبل.»

«لست مطالبة بالحصول على تصريح منك لمغادرة هذا المنزل. أرجو أن تتذكر ذلك جيدا. انني لست واحدة من موظفيك. ان دومينيك تنظر الينا. ولا شك أنها تشعر بإهمالك لها في هذه الليلة بالذات.»

تحول عنها فجأة وسار مبتعدا. تهاوت على أحد المقاعد القريبة وهي لا تستطيع السيطرة على مشاعرها المضطربة. هناك أمر واحد واضح تماما، انها لن تستطيع احتمال حفل العشاء بأي حال من الأحوال. حتى لو اعتبرها الآخرون تفتقر الى التصرف اللائق.

توجهت الى السيدة ديجون واعتذرت لها بنوبة مفاجئة من الصداع النصفي. عرضت. وهي تبدي قلقها البالغ عليها. أن تأخذ حبوبا مسكنة. أو أن تسعى في طلب الطبيب. ولكنها قالت: «شكرا لك. كل ما احتاجه هو القليل من الراحة.»

أخذت طريقها نحو الباب. وهناك كان يقف ماكس برينتيس الذي وصل الى سمعه ما كانت تتحدث به مع السيدة ديجون. وبدا عليه القلق وخيبة الأمل.

«هل ستتركينا هكذا سريعا؟ كنت آمل أن أحضر الى باريس في الأسبوع المقبل. ومع ذلك. أرجو ألا تنسي موعدك معي في لندن. اذا لم أتمكن من رؤيتك قبل رحيلي الى لندن الليلة. فانني أحب أن تقابلي زوجتي هيلين. وأطفالي أيضا.»

نظرت اليه اليس. وفجأة خطرت على بالها فكرة. لقد قال لها في الحديقة انه سيرحل الى لندن على الفور. والآن هو يقول انه سيرحل الليلة. سألته: «هل ستسافر بعد العشاء. يا ماكس؟»

«اجل لقد حزمت أمتعتي بالفعل.»

«هذه هي فرصتها. نظرت اليه نظرة جمعت فيها كل التوسل وقالت: «عندما تسافر الليلة الى لندن. هل تأخذني معك؟ انني في أشد الحاجة الى ذلك. واصطحابك لي في السيارة الى لندن سيحل جميع مشاكلي.»

وقالت لنفسها: أو على الأقل بعضاً منها.

حملق فيها ماكس وقال: «اصطحابك؟ ولكنك سترحلين مع السيدة ديزموند بعد عدة أيام.»

«ولكنني أفضل أن أرحل الليلة، بعد العشاء، لو أمكن ترتيب ذلك. ان معي نقودا، ومعي جواز السفر. كما انه ليس معي الكثير من المتاع. أرجوك يا ماكس، ساعدني.»

لندن، حيث تنتظرها جيني وخطيبها روجر والاعداد لزواجهما، وحيث تسير الحياة في يسر مثل نسمة الصيف الرقيقة. لندن، حيث يمكنها أن تنسى رائحة الورود في الحديقة الصغيرة والاحلام المستحيلة التي راودتها هناك، برجل أقام حول قلبه جدارا من المرارة الساخرة.

نظر اليها ماكس بريتيس بصمت للحظة وقال: «وعندما تصلين الى لندن، الى أين تذهبين بعد ذلك؟»

«سوف أتوجه الى ديفون لزيارة والدي لبضعة أيام، وأنعم قليلا بالاسترخاء. فقد أرهقت نفسي تماما في الفترة الماضية.»

«أنها فكرة تبدو طيبة. فإن هواء البحر النقي والطعام الجيد سيفيدانك كثيرا، ويعيد الحمرة الى خديك. وبالطبع أشك في أن ذلك هو العلاج لما انت فيه.»

قالت آليس باصرار: «أرجوك يا ماكس أن تأخذني معك، هل ستفعل؟»

«ما دمت واثقة هكذا يا عزيزتي من أن ذلك هو

ما ترغبين، وما تحتاجين، فسوف آخذك معي.» قالت وهي تحاول أن تبتسم: «انني واثقة من ذلك.»

عادت الى غرفتها، وحزمت حقيبة واحدة فقط وضعت فيها الأشياء الضرورية، كانت سعيدة لأن هذه المهمة شغلتها عن التفكير فيما يجري في ذلك الوقت في غرفة الطعام. ولكن التعاسة كانت تعتصرها عندما صادفتها تلك اللفافة التي تضم رداء ليلة من ليالي الصيف، أخرجتها بعصبية ووضعتها على السرير، وقررت ألا تأخذها معها. كتبت رسالة قصيرة لماغي تشرح فيها كيف أنها لا تستطيع البقاء في القصر بعد إعلان خطبة رالف ودوميتيك رسميا، وتركت الرسالة فوق طاولة الزينة في غرفة ماغي الروحية. لقد بدا لها الأمر وكأنه نوع من الفرار.

ثم جمعت حاجياتها الصغيرة في حقيبة يدها وخرجت من الغرفة.

ولكنها تذكرت شيئا مهما. عبرت غرفة النوم وفتحت ستائر النافذة. وألقت نظرة أخيرة على الحديقة الصغيرة.

ماذا يحدث عندما تذيل الورود على مكتب رالف وتتساقط أوراقها؟ هل سيسمح لهايدي بوضع ورود أخرى بدلا منها، أم أنه سيعتبر الأمر كله وكأنه لم يحدث على الاطلاق، ويترك الحديقة مهملة لتعود الى سيرتها الأولى، أو أن تتحول الى حوض للسباحة كما ترغب دوميتيك.

وقفت في الممر الذي فوق غرفة الصالون تنتظر. كانت تعلم ان العشاء قد انتهى الآن. بعد خمس دقائق خرج ماكس بريتيس وصعد الدرج متوجها اليها:

«أرى أنك على استعداد. حسناً، أمهليني عشر دقائق فقط أجمع فيها حاجياتي وأحضر السيارة عند الباب الخلفي. اتفقنا؟»

جلست تنتظر وهي تنظر في ساعتها. لقد كانت تلك أطول عشر دقائق في حياتها. نظرت حولها ترقب كل شيء. ان هذا المكان كان غريبا عنها في بداية أيامها هنا. والآن أصبح كل شيء مألوفا. تذكرت الجياد، والألفة التي أصبحت طبيعة العلاقة بينهما. أحست بشهقة تختنق في صدرها. وهي تسمع صوت النفير، من الواضح أنه جاء أسرع مما كان متوقعا.

هبطت الدرج على أطراف أصابعها حتى لا تحدث صوتا. كانت هناك سيارة تقف عند طرف السلم خارج القصر. لاحظت أن صندوق السيارة مفتوح لتضع فيه حقيبتها. كذلك كان الباب المجاور للسائق مفتوحا. دخلت السيارة، وأغلقت الباب وراءها. وقبل ان تلتفت الى ماكس لتشكره، جاءها صوت رالف:

«مساء الخير.»

مرت لحظة شل فيها تفكيرها ولسانها. ثم قالت، رغم علمها بأن ذلك الذي تقوله يجعلها تبدو كالبلهاء:

«ماذا تفعل هنا؟»

«انك في حاجة الى سائق، ويسعدني أن أقدم لك هذه الخدمة. فقد قرر ماكس أن الأنسب له تأجيل سفره. وهكذا فانني هنا في خدمتك.»

«دعني أخرج من هذه السيارة.»

«ابدا. لن يحدث ذلك، قبل ان نصل معاً الى وجهتنا. لا تحاولي فتح باب السيارة. انه يغلق بطريقة آلية. ولا يمكن فتحه إلا من الخارج، بالاضافة الى أنك كنت متلهفة للهرب، ألا تثقين في قيادتي للسيارات؟»

تحرك بالسيارة ببطء. كان جسم أليس يرتعش غضبا واحباطا.

قالت: «وبماذا ستفسر خطيبتك هذا الهروب الصغير لك من الحفل، أم أنها توافق على أغماض عينيها على بعض أفعالك؟»

«ترى من هي تلك الخطيبة التي تشيرين اليها؟»

حملقت فيه أليس وقالت: «الليلة، الاندماج مع منسوجات فومون. انك تعلم ماذا أعني. لقد رفض بول الزواج منها، وهكذا ترك لك ذلك الأمر.»

«لقد تم توقيع عقد الاندماج مع فومون قبل العشاء مباشرة.»

«كنت اعتقد أن جزءاً من الصفقة...»

«كنت تعتقدين أن دومينيك جزء من الصفقة. اعترف أنني كنت السبب في اعتقادك هذا. فذلك ما كنت أود أن أتحدث اليك بشأنه الليلة، ضم اشياء أخرى.»

عندما دخلت الى غرفة الاستقبال وفي عينيك تلك النظرة التائهة التي أنستني كل شيء سوى الرغبة في أن أضمك بين ذراعي.»

حملقت فيه أليس وقالت: «اذن، فانت حقيقة لم تخطب دومينيك؟»

«كلا! كذلك لن يخطبها بول أيضاً. فذلك لم يكن ابداً جزءاً من خطتي.»

«ولكن بول قال لي....»

«أوه، أعلم ما قاله لك. ذلك الكلام الفارغ عن الزواج الاقطاعي والعصور المظلمة التي يبدو أنك تعتقدين أنني إنتمي اليها، يا لك من حمقاء! إن أمي والعائلة جميعاً، يريدون من بول أن يتزوج نيكول. ولكنه سار في لهوه هنا مع دومينيك وفي لندن. فماذا يمكن المرء أن يفعل؟ لقد وجهت اليه انذاراً، تزوج دومينيك وإلا، على أمل ان يعود الى رشده ويسترجع نيكول، تلك المسكينة التي لم تتوقف ابداً عن حبه.»

«وبدلاً من ذلك تحول اليّ.»

«كنت استبعد ذلك بعد ما قلته لي في الشرفة تلك الليلة من أنه لا توجد خطبة. فما الذي جعلك تغيرين رأيك؟»

«كنت ذاهبة الى غرفة المكتب وسمعتك تتحدث في الهاتف. لقد أعتقدت أنك تعني بذلك الكلام أنك تخلصت مني بدون تكاليف.»

«هكذا الأمر اذن. كنت أعرف أن هناك شيئاً غير

مفهوم. أقول لك الآن. انني قلت لأن ماري انني وضعت حداً لكل ما يشعر به بول تجاه دومينيك باصدار أوامري اليه أن يتزوجها، وأن ذلك الأمر لا يمثل أي خطورة على عملية الاندماج. ان آل فومون أناس عمليون فيما يتعلق بأمور العمل، ثم ان دومينيك لها العديد من المعجبين.»

أوقف رالف السيارة على جانب الطريق، وأطفأ الأنوار، واقترب منها: «والآن، كيف ستتقنين كرامتي المجروحة؟ لقد كنت على وشك اعلان خطبتنا على العشاء، بعد ان طلبت بدك في رومانسية بالغة ونحن في خليعة جلتي. ثم ها أنذا أجدني أمام خطيبة تهرب مني مع أحد العاملين معي، والذي له من حسن الادراك انه ابلغني بما تنوين القيام به.»

«ولكنني أعتقدت أنك تكرهني لأنني خدعتك فيما يتعلق ببول.»

«قلت لك من قبل، يا جميلتي، أنك لم تخدعيني، كما أن خطبتك المزعومة لبول لم تكن بدون فائدة. وأقول لك، ان المرأة يمكنها ان تكذب بالكلمات، ولكن عينيها وجسمها يقولان الحقيقة. في كل مرة كنت أضمك فيها، كنت أعرف الحقيقة، كنت أعرف أنك تريدينني مثلما اريدك. أليس كذلك، يا حبيبتي أليس؟»

مال عليها وعانقها برفق، ثم بقوة واصرار. وهي تتعلق به، عطشى للانتماء اليه تماماً. في النهاية، تراجع رالف على كره منه وقال: «لم يحن الوقت بعد.»

ثم قال مبتسماً: «ما زلت أتمسك بحق الرجل، كما تعلمين.»

«انك تعرف الكثير عن النساء.»

كانت تشعر في ذلك الوقت بشيء من الغيرة من كل أولئك النساء اللواتي اكتسب منهن تلك الخبرة التي لا شك فيها. قال وهو يرفع رأسها اليه حتى يرى وجهها تماماً: «أجل، يا أليس، كانت هناك نساء في حياتي. ولكن لن يكون هناك سواك بعد الآن. وأقسم على ذلك.»

رفع يديها الى شفتيه وقبلهما. كانت السكينة تعم جو السيارة. وشعرت أليس بالدموع ترقرق في عينيها. قال وهو يعود الى ضمها من جديد:

«والآن، وبعد أن حصلت على موافقتك على زواجنا، اليك هدية الزواج.»

«أحضر لفافة كبيرة من المقعد الخلفي للسيارة. حملقت فيها أليس للحظة ثم بدأت بفك الشريط الذي يحيط بها. كان بداخلها رداء يوم الزفاف الرائع، بتلألأ تحت أضواء السيارة التي أنارها رالف.

«هل اعجبك؟ كنت أعرف أنك تفضلين تصميماً مرصعاً بالورود مثل جدتي. وهل هناك أفضل من الورود التي اعادت اليها رونقها من جديد في حديقتها التي أصبحت حديقتك الآن يا حبيبتي، حيث ستجلسين وتنتظرين أطفالنا للتلعبي معهم عندما يكبرون.»

«وهايدي أيضاً؟»

«وهايدي، صغيرتي هايدي . ستكون هي أكبر أولادنا، ولها مكانة خاصة في حياتنا. شكراً لك يا حبيبتي. لقد كنت أعقل مني، يا ليفكتوار المسكينة. كم كانت تكرهني حتى سممت حياتي بتلك الكذبة.»

أخذت أليس يده ووضعتها على وجنتها وقالت:

«لن نتحدث عن الماضي بعد اليوم، لقد ذهب الآن الى الأبد.»

ثم قالت وهي تعيد وضع الرداء بعناية داخل علبته:

«كنت أعتقد أن هذا أعد من أجل دوميتيك.»

«انك في بعض الأحيان يا جميلتي، غاية في التعقل، وفي أحيان أخرى، حمقاء للغاية. انك لا تتخيلين الجهد، والسرعة التي تم بهما اعداد هذا الرداء ليكون جاهزاً في الوقت المناسب. والآن، ماذا عن الرداء الآخر الذي قدمته لك؟ ليلة من ليالي الصيف الذي اجمع الآخرون على انه صمم خصيصاً ليليق بك؟»

«لقد تركته في غرفتي. وأقسمت حينئذ ألا أقبله أبداً.»

«حسناً. يمكن انقاذه. ويمكنك أن ترتديه ظهر يوم زفافنا قبل أن نتوجه بعد ذلك الى الاحتفال في القرية.»

قالت له بشيء من الاثارة: «هل أنت واثق تماماً انني أرغب في الزواج بك؟»

www.liilas.com

«أنا واثق أنني أنا أرغب في الزواج بك، وأكون مستعدا تماما لما يترتب عليه من نتائج . والآن لنتوجه الى أنتيب لأقدمك الى جدتي. انها تتوق الى رؤية الفتاة التي اعتنت من جديد في حديقتها، وأحالتها الى مكان للأحلام كما كانت من قبل.»

قالت أليس وهي تضحك بسعادة غامرة:

«تصور أنني قلت لماغي أنني سوف أرحل من القصر بدون ان التفت لألقي نظرة الى الوراء.»

«لن تنظري الى الوراء بعد الآن يا أليس، منذ الآن فصاعدا لن ننظر إلا الى الأمام، الى السعادة التي ستضمنا تحت جناحيها الى الابد.»

www.liilas.com
ليلاس

تـمـــت